سلسلة العبادات القلبية

توحيد الله تعالى

الصبر والشكر والرضا

مسائل عقدية وأحكام في عبادة التوكل

(كتاب تفاعلي)

منى الشمري



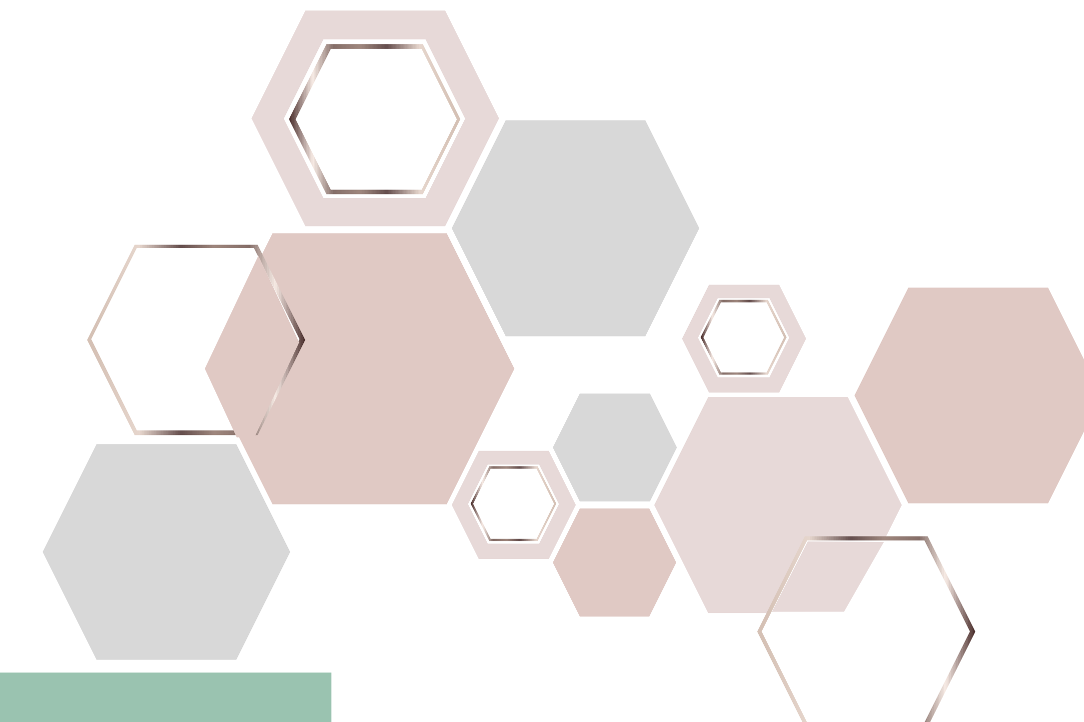
سلسلة
العبادات القلبية

توحيد الله تعالى في عبادات [الصبر والشكر والرضا]

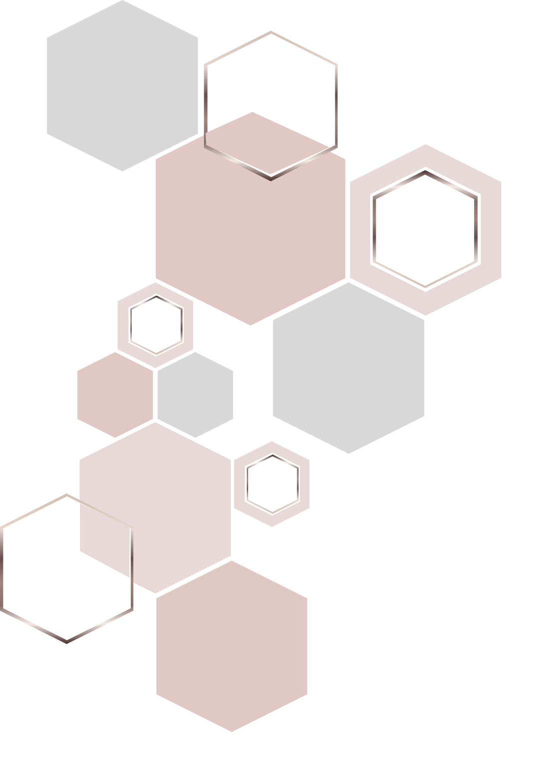
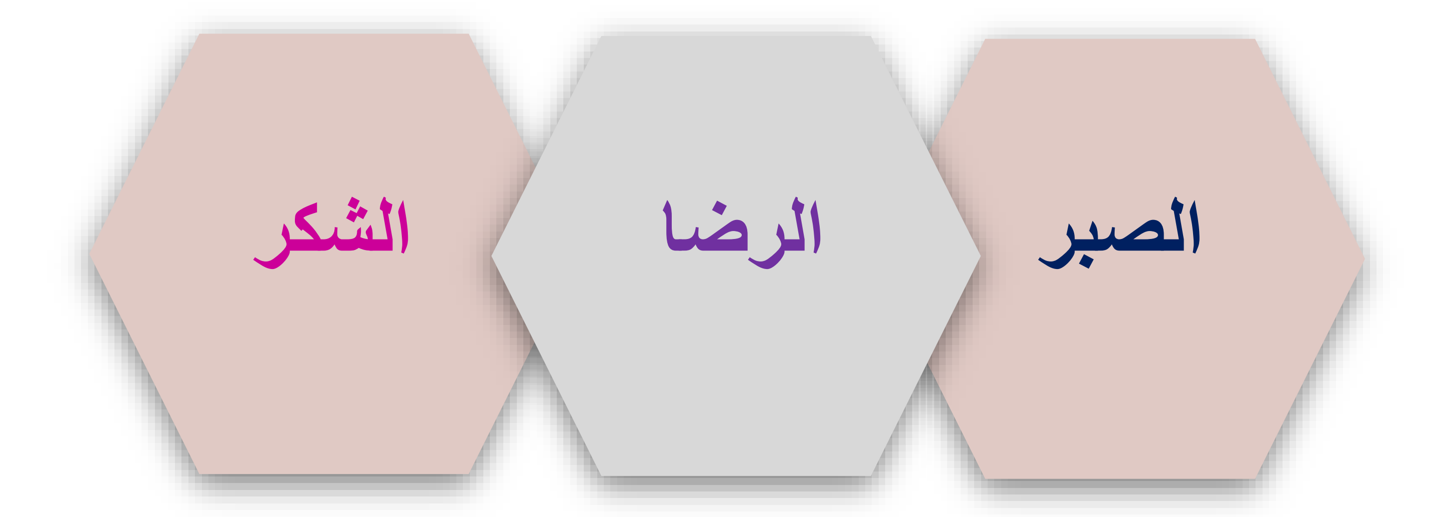
مسائل عقدية وأحكام

(كتاب تفاعلي)

جمع وترتيب
منى الشمري

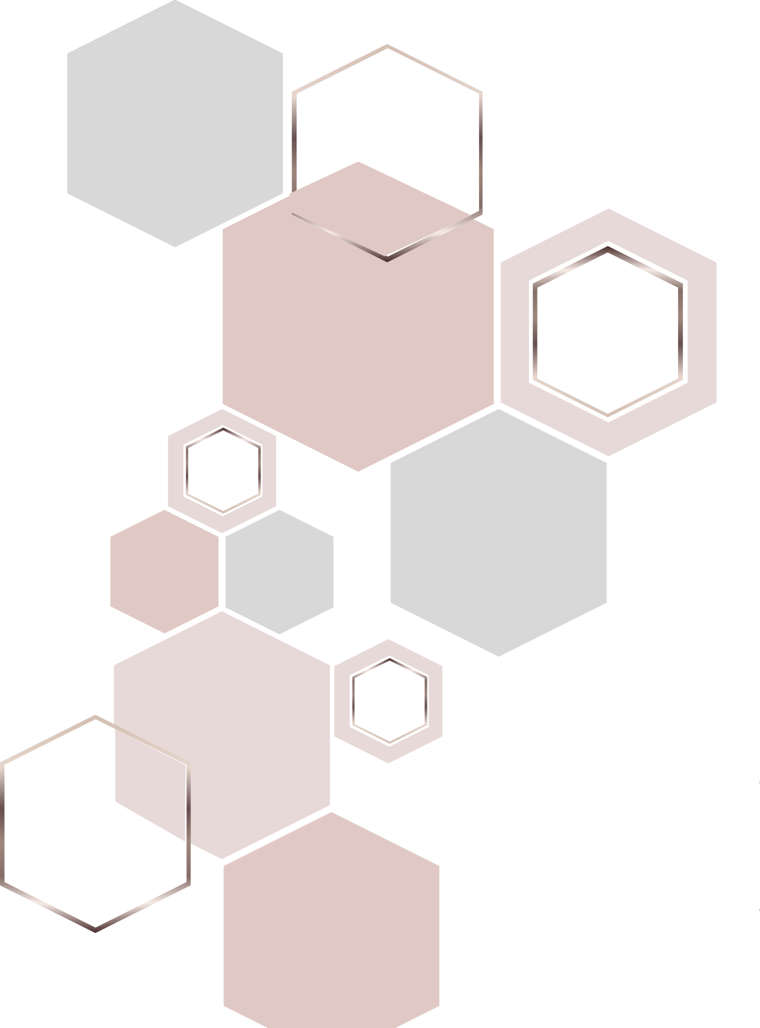







الصبر
الرضا
الشكر



المقدمة



الحمد لله الشكور المحمود على نعمه التي لا تُحصى، له الحمد كلّه، حمدًا كثيرًا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

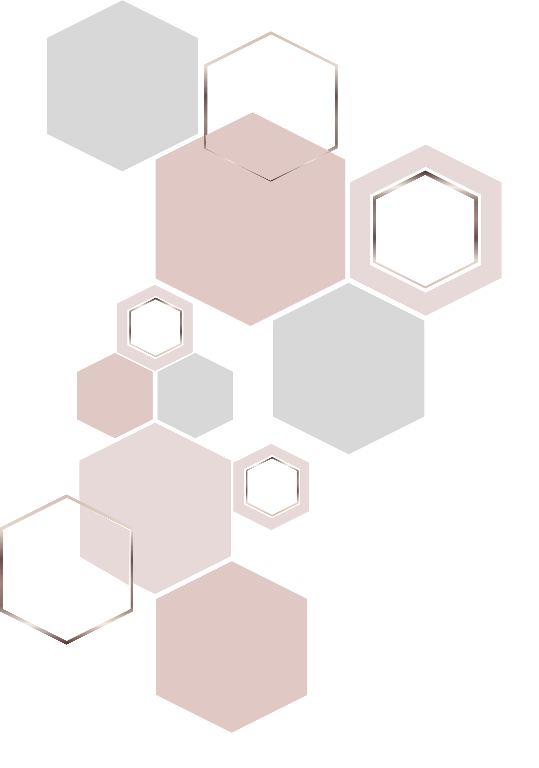
فمن العبادات القلبية الجليلة والمؤثرة في حياة المؤمن اقتران الصبر والشكر؛ إذ لا يكون المؤمن صابرًا بدون أن يكون شاكرًا راضيًا بأقدار الله تعالى، موقنًا بحكمته سبحانه، وراجيًا جميل الثواب وعظيم الأجر.

ومن رحمة الله تعالى ولطفه بعباده سبحانه أنّ في القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة من الإرشادات ما يوطّن النفس على هذه العبادات، ويحسن التعامل معها، فتقوى هذه النفس للسير في طاعة الله، مصروفة عن معاصيه، منصورة بالدنيا والآخرة.

ولارتباط هذه العبادات الثلاث مع بعضها ارتباطًا وثيقًا جمعتُ بعض أحكامها ومسائلها الشرعية في كتاب تفاعلي واحد؛ لنحيا بين الصبر والشكر، راضين بكل ما يقدره الله تعالى بلطفه وحكمته علينا، وليكون لنا فيها الموعظة والذكرى.

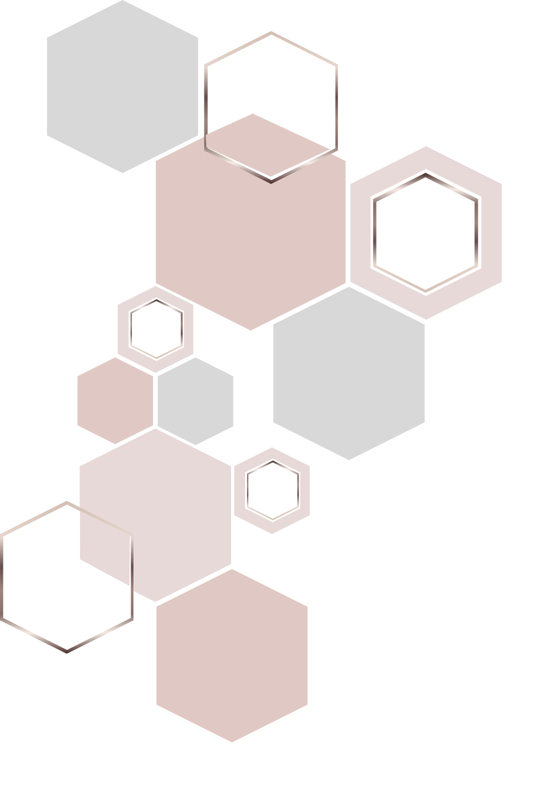
المحتويات





أولاً:

عبادة الصبر



قال أبو عَبدِ اللهِ أحمَدُ بنُ حَنبَلٍ: (ذَكر اللهُ سُبحانَه الصَّبرَ في القُرآنِ في تِسعينَ مَوضِعًا)

{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [النحل: ١٢٧]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠]

{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر:١٠]

{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: ٢٤]

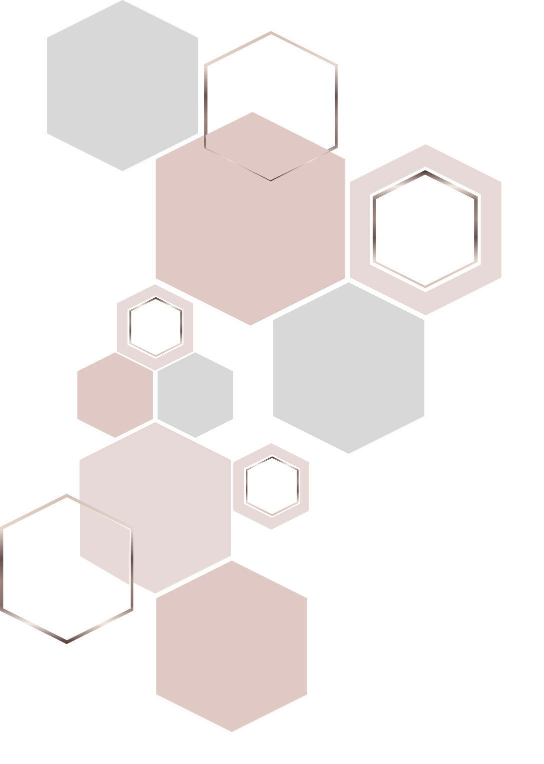
{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} [آل عمران: ١٢٠]

{وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: ٢٣-٢٤]

{وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: ٤٣]

{وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران:١٤٦]





مفهوم الصبر لغة واصطلاحًا:

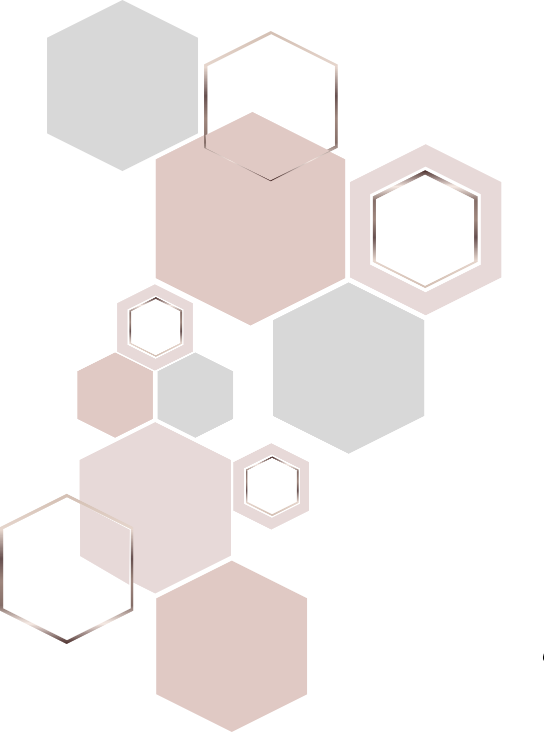
ص ب ر: الصبر حبس النفس عن الجزع، و (صبره) حبسه قال الله تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ} [الكهف: ٢٨].(١)

قيل: الصبر صبران، صبر على المكروه فيما يلزمك فعله، وصبر عما يدعوك إليه الهوى. (٢)

الصبر: حبس النفس عما يجب الصبر عنه وعليه.(٣)

---

(١) معجم مختار الصحاح – زين الدين الرازي – ص ١٧٢
(٢) كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - الراغب الأصفهاني – ج٢ ص٥٢٤
(٣) كتاب شرح الأربعين النووية – محمد بن صالح العثيمين – ص٢٢٣



مفهوم الصبر لغة واصطلاحًا:

الصبر: الإمساك في ضيق، والصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه.

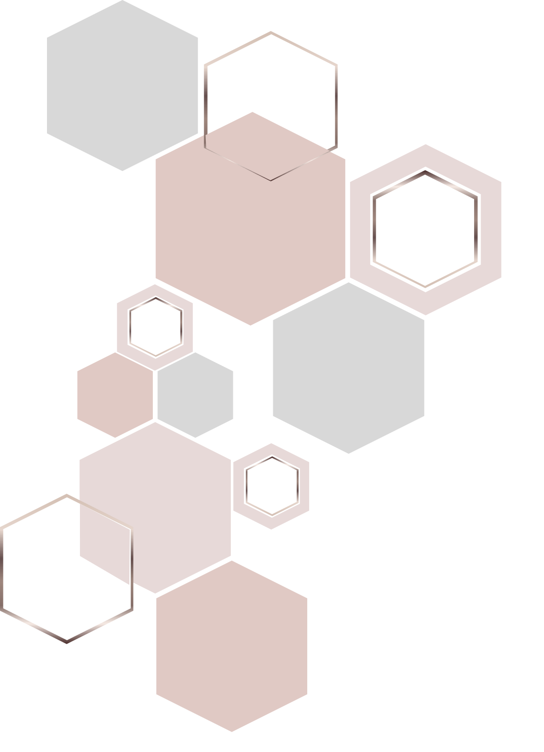
فالصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه؛ فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرًا لا غير، ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر، ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتمانا، ويضاده الهذر.

وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبرًا، ونبه عليه بقوله: {وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ} [البقرة:١٧٧]، {وَالصَّابِرِينَ عَلَى ما أَصابَهُمْ} [الحج:٣٥]، {وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِراتِ} [الأحزاب:٣٥]، وسمي الصوم صبرا لكونه كالنوع له، وقال عليه السلام: «صَومُ شَهرِ الصَّبرِ وثلاثةِ أيَّامٍ من كُلِّ شَهرٍ، يُذهِبْنَ وَحَرَ الصَّدرِ» «١»

وقوله تعالى: {فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ} [البقرة:١٧٥] قال أبو عبيدة: «إن ذلك لغة بمعنى الجرأة»

كتاب المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني – ص ٤٧٤
(١) أخرجه أحمد (٢٣٠٧٠) واللفظ له، وابن أبي شيبة (٣٧٧٩٠)، وابن الجارود في ((المنتقى)) (١٠٩٩)





حقيقة الصبر:

الصبر هو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن الشكوى، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما.

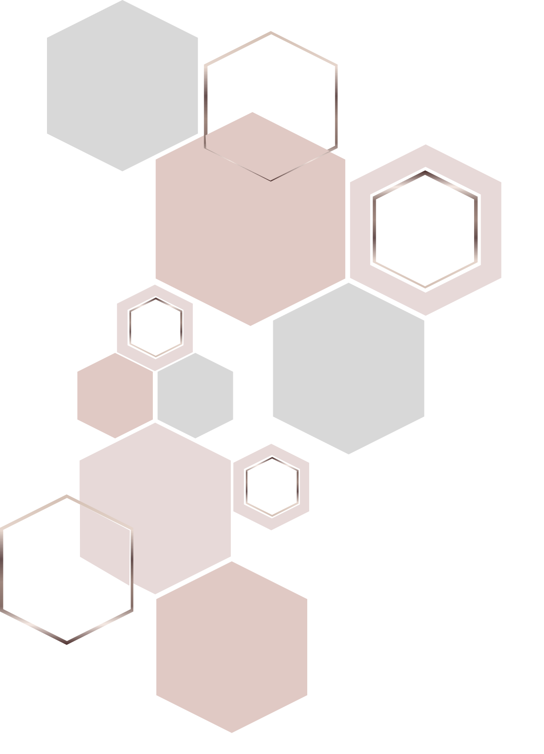
وهو خلق فاضل من أخلاق النفس، يُمتنع به من فعل ما لا يحسُن ولا يَجمُل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شانها وقوام أمرها.

وسئل عنه الجنيد فقال: هو تجرع المرارة من غير تعبس.

وقال ذو النون: هو التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة.

واعلم أن حقيقة الصبر مع الله هو ثبات القلب بالاستقامة معه؛ وهو أن لا يروغ عنه روغان الثعالب ها هنا وها هنا؛ فحقيقة هذا هو الاستقامة اليه، وعكوف القلب عليه.

كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين – ابن القيم – ص١٦- ٤٨

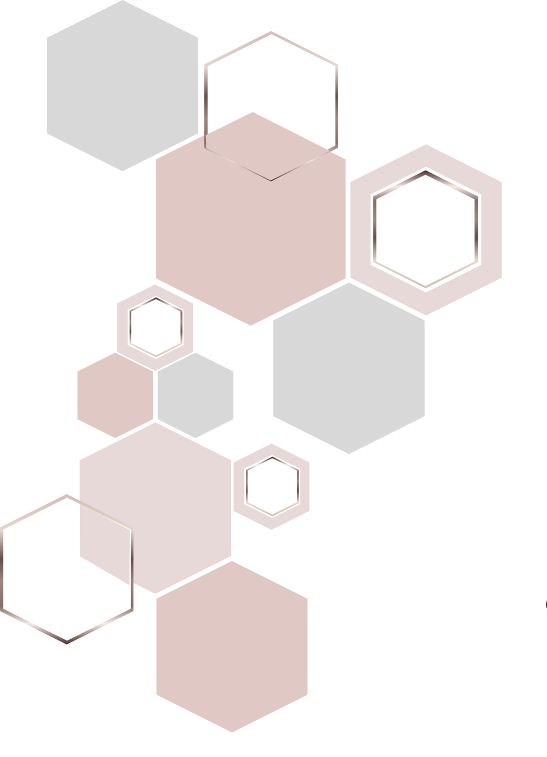
الصبر ثلاثة أنواع:

الأول: صبر عن معصية الله: بمعنى أن تحبس نفسك عن فعل المحرّم حتى مع وجود السبب.
ومثاله: كما جرى ليوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، وكما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلّهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله، وذكر منهم: "رَجُلاً دَعَتْهُ امرأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنّي أَخَافُ اللّهَ" (١).

الثاني: صبر على طاعة الله: بأن يحبس الإنسان نفسه على الطاعة كرجل أراد أن يصلي، فدعته نفسه إلى الكسل، أو إلى الفراش، أو إلى الطعام الذي ليس بحاجة إليه، أو إلى محادثة الإخوان، ولكنه ألزم نفسه بالقيام للصلاة، فهذا صبر على طاعة الله.

الثالث: صبر على أقدار الله: فإن الله تعالى يقدر للعبد ما يلائم الطبيعة وما لا يلائم، والذي لا يلائم يحتاج إلى صبر، بأن يحبس نفسه عن التسخّط القلبي أو القولي أو الفعلي إذا نزلت به مصيبة، فهذا نسميه صبر على أقدار الله مع أنه كره أن يقع هذا الحادث.

كتاب شرح الأربعين النووية – محمد بن صالح العثيمين – ص ٢٢٤
(١) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١)

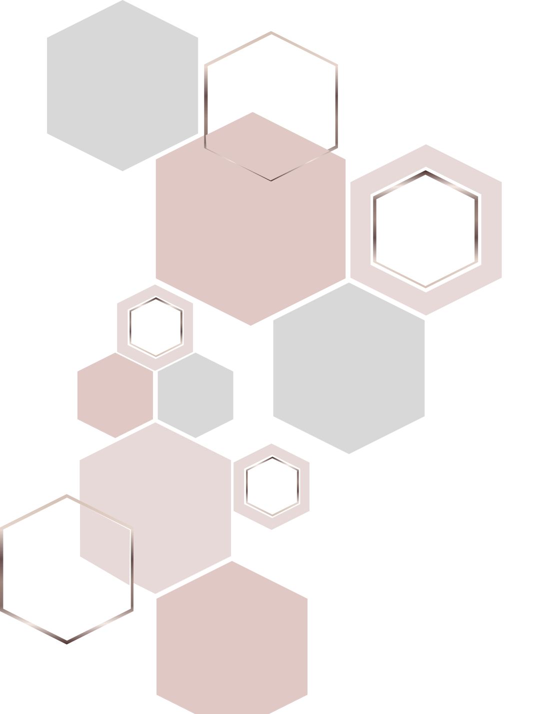


أي أنواع الصبر الثلاثة أفضل؟

أما من حيث هو صبر فالأفضل الصبر على الطاعة؛ لأن الطاعة فيها حبس النفس، وإتعاب البدن.
ثم الصبر عن المعصية؛ لأن فيه كفُّ النفس عن المعصية.
ثم الصبر على الأقدار؛ لأن الأقدار لا حيلة لك فيها، فإما أن تصبر صبر الكرام، وإما أن تسلو سُلُوَّ البهائم وتنسى المصيبة، هذا من حيث الصبر.

أما من حيث الصابر: فأحيانًا تكون معاناة الصبر عن المعصية أشد من معاناة الصبر على الطاعة.
فلو أن رجلاً هُيئَ له شرب الخمر مثلاً، بل ودعي إلى ذلك وهو يشتهيه، ويجد معاناة من عدم الشرب، فهو أشد عليه من أن يصلي ركعتين لاشك.
فهنا قد نقول: ثواب الصبر عن المعصية هنا أعظم من ثواب الصبر على الطاعة؛ لما يجده هذا الإنسان من المعاناة، فيؤجر بحسب ما حصل له من المشقّة.

كتاب شرح الأربعين النووية – محمد بن صالح العثيمين – ص ٢٢٥

مطالب الصبر:

المطلب الأول: الصبر على طاعة الله:

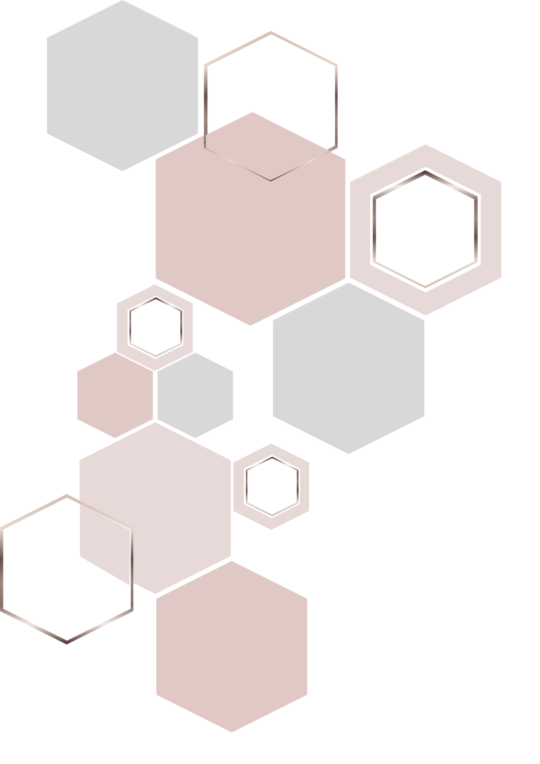
الطريق إلى الله تعالى مليئة بالعوائق؛ لأن النفس بطبعها تنفر من القيود، والعبودية لله قيد لشهوات النفس؛ ولذلك فالنفس لا تستقيم على أمر الله بيسر وسهولة، فلابد من ترويضها، وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار، قال تعالى: {رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: ٦٥]، وقال جل ثناؤه: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه: ١٣٢].

والصبر على الطاعة يتكون من ثلاث شعب:

الأولى: صبر قبل الطاعة بتصحيح النية والإخلاص والتبرؤ من شوائب الرياء، قال تعالى: {إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [هود: ١١] فقدم الله سبحانه وتعالى الصبر على العمل.

الثانية: الصبر حال الطاعة حيث لا يغفل عنها أثناء تأديتها، ولا يتكاسل، فيأتي بها على أكمل وجه مشروع، متّبعاً ما بينّه الرسول صلى الله عليه وسلم حذو القُذَّة بالقُذَّة.

الثالثة: الصبر بعد العمل، فلا ينظر لنفسه بعين العجب، فيتظاهر بما قدَّم سمعةً ورياءً؛ لئلا يحبط عمله ويبطل أجره.



مطالب الصبر:

المطلب الثاني: الصبر عن المعاصي والمحرمات.

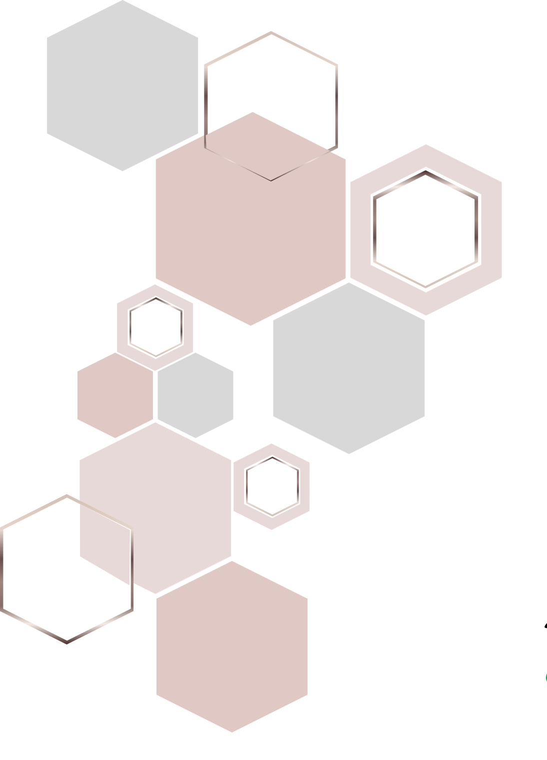
إذا أخذت الدنيا زينتها وأقبلت على الإنسان، ونشرت شهواتها ذات اليمين وذات الشمال، فهذا لون جديد من الابتلاء، إنه فتنة السرَّاء؛ لأن الله يبلو عباده بالشر والخير، قال تعالى: {وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥].

ولذلك فالعبد محتاج إلى الصبر عن ملاذ الدنيا وشهوات النفس، فلا يطلق لها العنان لتسترسل وراء شهواتها من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث.

وثمة أمر آخر للصبر في هذا المجال إنه الصبر عن التطلُّع إلى دنيا الآخرين، والاغترار بما ينعمون به من مال وبنين. قال تعالى: {وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه:١٣١]

كتاب مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص٢٠٢





مطالب الصبر:

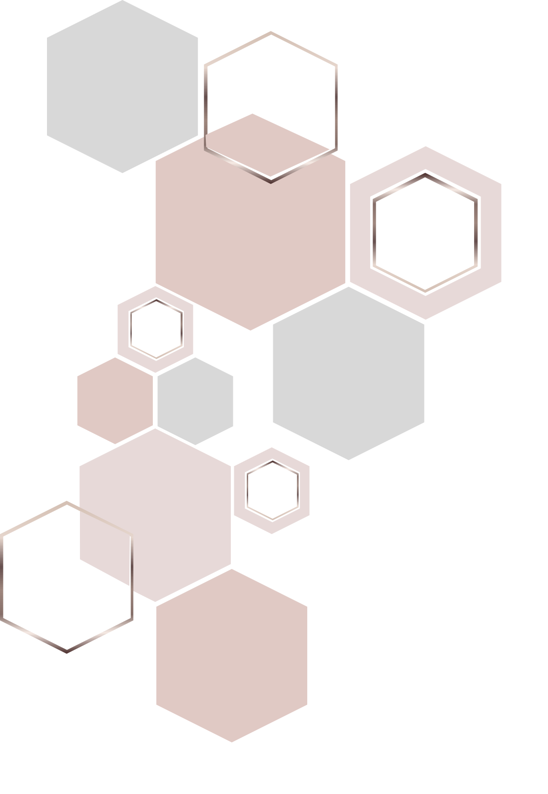
المطلب الثالث: الصبر على المصائب وأقدار الله المؤلمة.

لا أحد يسلم من آلام النفس، وأمراض البدن، وفقدان الأحباء، وخسران المال. وهذا ما لا يخلو منه بَرٌّ ولا فاجر، ولا مؤمن ولا كافر، ولكن المؤمن يتلقَّى هذه المصائب برضىً وطمأنينة تفعم قلبه الذي أسلس قياده لمقلِّب القلوب والأبصار؛ لأنه يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ١٥٥].

فالبلاء هنا عام يصيب القلوب بالخوف، والبطون بالجوع، والأموال بالنقص، والأنفس بالموت، والثمرات بالآفات.

ومن لطف الله ورحمته بعباده أنه جعل البلاء: {بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ ... } الآية؛ ليدل على التقليل مراعاة لضعف العباد، وتخفيفاً عليهم، ورحمةً بهم.

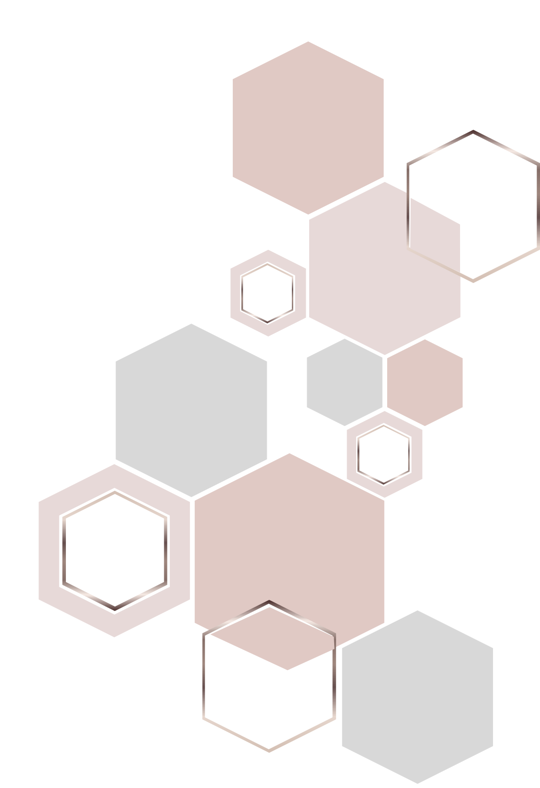
كتاب مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص٢٠٣

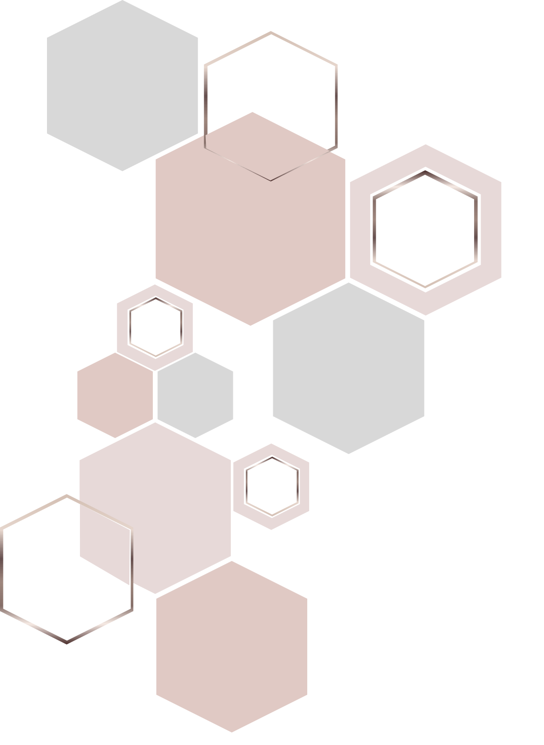



يقولُ اللَّهُ تَعالى:

"ما لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِندِي جَزاءٌ، إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِن أهْلِ الدُّنْيا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إلّا الجَنَّةُ"

الراوي: أبو هريرة • أخرجه البخاري (٦٤٢٤)



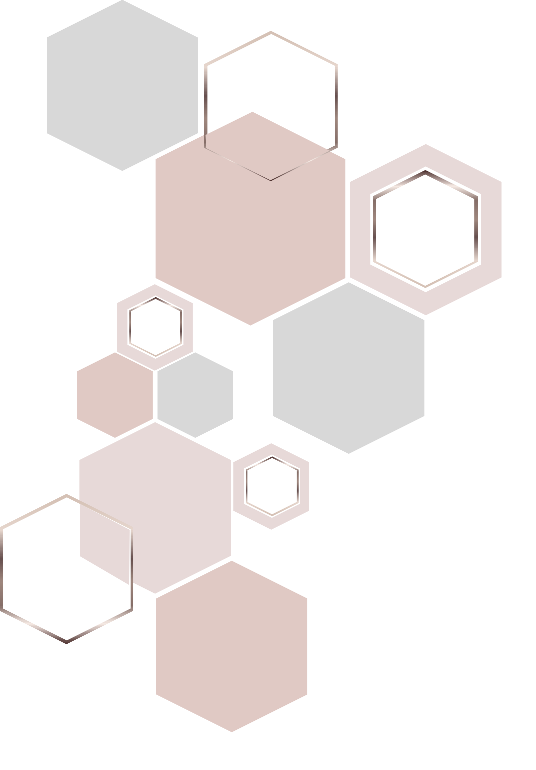


درجات الصبر: اختياري واضطراري

الاختياري أكمل من الاضطراري؛ فإن الاضطراري يشترك فيه الناس، ويتأتى ممن لا يتأتى منه الصبر الاختياري؛ ولذلك كان صبر يوسف الصديق عليه السلام عن مطاوعة امرأة العزيز، وصبره على ما ناله في ذلك من الحبس والمكروه أعظم من صبره على ما ناله من إخوته لما ألقوه في الجب، وفرقوا بينه وبين أبيه، وباعوه بيع العبد.

ومن الصبر الثاني: إنشاء الله سبحانه له ما أنشأه من العز والرفعة والملك والتمكين في الأرض.
وكذلك صبر الخليل عليه السلام والكليم، وصبر نوح وصبر المسيح، وصبر خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم عليهم الصلاة والسلام كان صبرًا على الدعوة إلى الله ومجاهدة أعداء الله، ولهذا سماهم الله أولي العزم، وأمر رسوله أن يصبر صبرهم فقال {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الاحقاف:٣٥]

كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين – ابن القيم – ص ٣٣



شروط الصبر المحمود:

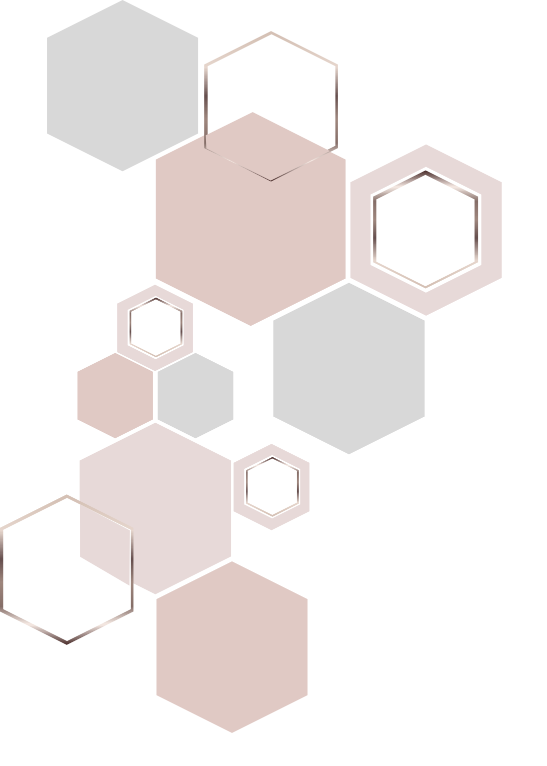
الصبر المحمود والمأجور عليه صاحبه هو ما اشتمل على شروط ثلاثة:

١ ـ الإخلاص لله {وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} [المدثر: ٧].

٢ ـ عدم الشكوى إلى العباد.

٣ ـ أن يكون الصبر في أوانه عند الصدمة الأولى.

كتاب مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص١٩٢



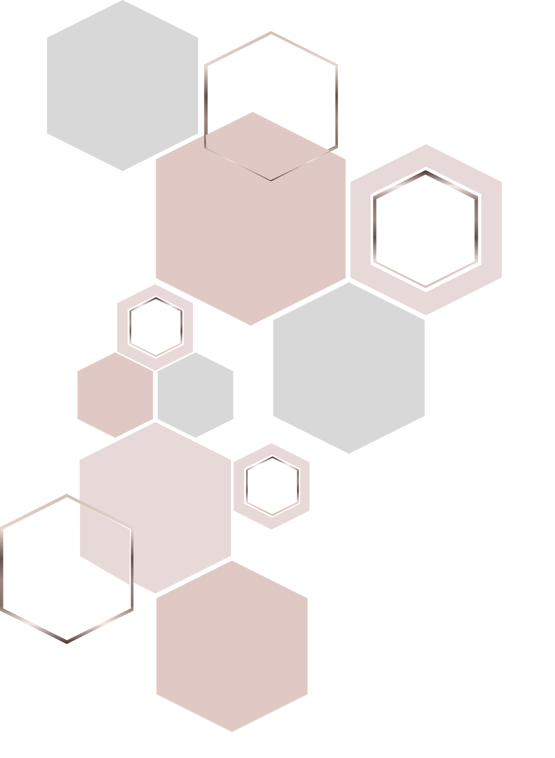
الإخلاص لله تعالى في الصبر:

قال تعالى: {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ} [الرعد: ٢٢] .

ابتغاء وجه ربهم: (لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة؛ فإن هذا هو الصبر النافع الذي يحبس به العبد نفسه طلبا لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه، والحظوة بثوابه، وهو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان.

وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر؛ فليس هو الممدوح على الحقيقة)

كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي - سورة الرعد، ص ٤١٦



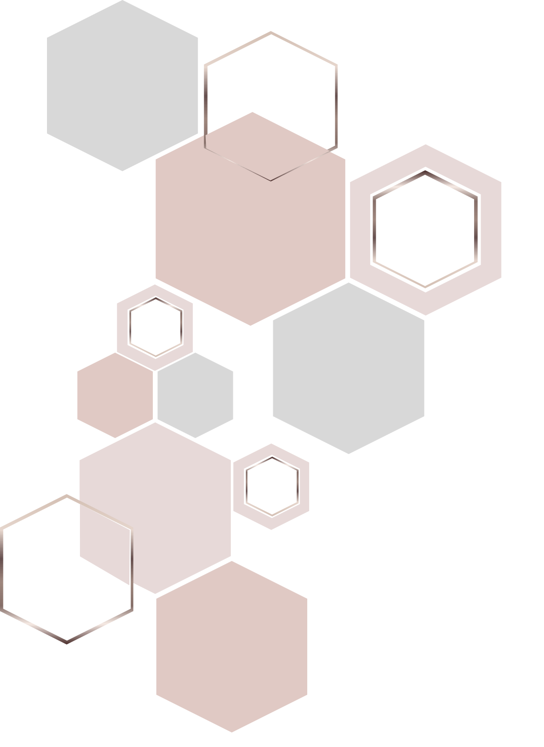
الصبر الجميل:

الصبر الجميل صبر بغير شكوى إلى المخلوق؛ ولهذا قرئ على أحمد بن حنبل في مرضه أن طاووسًا كان يكره أنين المريض ويقول: إنه شكوى، فما أَنَّ أحمد حتى مات.

وأما الشكوى إلى الخالق فلا تنافي الصبر الجميل؛ فإن يعقوب قال: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف: ١٨]

وَقَالَ: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} [يوسف: ٨٦] .

كتاب الفتاوى الكبرى - ابن تيمية - ج٥ ص١٨٢



الصبر عند الصدمة الأولى:

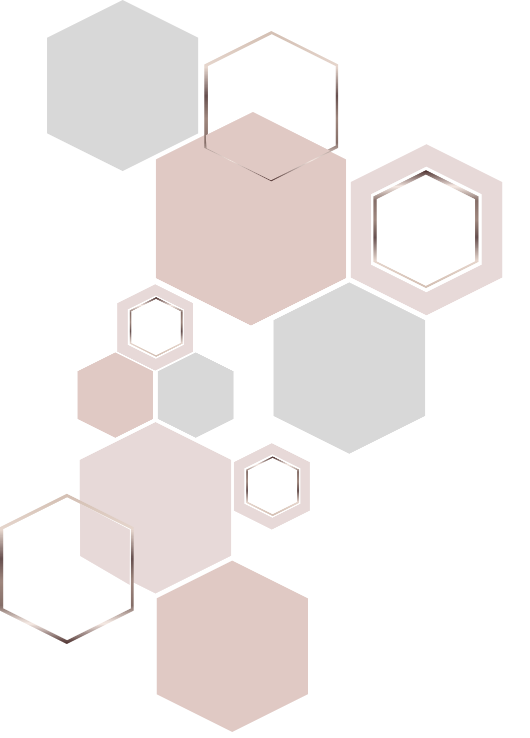
الصبر يكون عند البلاء، وأفضله وأعلاه الصبر عند الصدمة الأولى، وهذا عنوان الصبر الحقيقي، كما «قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمرأة التي مر بها وهي تبكي عند قبر، فقال لها: " اتقي الله واصبري، قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: " إنما الصَّبرُ عندَ الصَّدمةِ الأُولى» (١)، أما بعد أن تبرد الصدمة، فإن الصبر يكون سهلا، ولا ينال به كمال الصبر.

فأهل السنة والجماعة يأمرون بالصبر عند البلاء، وما من إنسان إلا يبتلى إما في نفسه وإما في أهله، وإما في ماله، وإما في صحبه، وإما في بلده، وإما في المسلمين عامة. ويكون ذلك إما في الدنيا وإما في الدين، والمصيبة في الدين أعظم بكثير من المصيبة في الدنيا.

فأهل السنة والجماعة يأمرون بالصبر عند البلاء في الأمرين، والشكر عند الرخاء، والرضا بمرّ القضاء.

كتاب مجموع فتاوى ورسائل العثيمين – محمد بن صالح العثيمين – ج٨ ص ٦٦٥
(١) أخرجه البخاري (١٢٨٣) واللفظ له، ومسلم (٩٢٦)



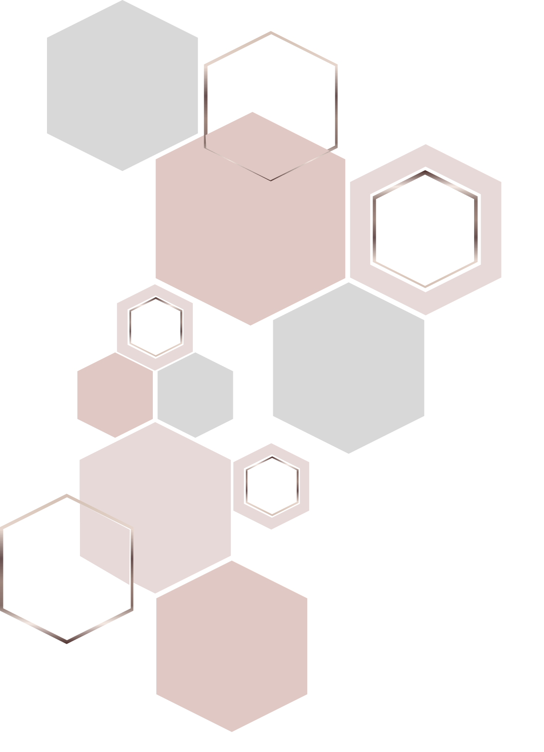


الصبر عند الصدمة الأولى:

إن مفاجأة المصيبة بغتة لها روعة تزعزع القلب، وتزعجه بصدمها، فإن صبر الصدمة الأولى انكسر حدها، وضعفت قوتها، فهان عليه استدامة الصبر.

وأيضًا فإن المصيبة ترد على القلب وهو غير موطن لها فتزعجه، وهي الصدمة الأولى، وأما إذا وردت عليه بعد ذلك توطن لها، وعلم أنه لا بد له منها، فيصير صبره شبيه الاضطرار.

كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين – ابن القيم – ص ١٢١



حكم الصبر:

الصبر ينقسم إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: صبر واجب: كالصبر على الطاعات، والصبر عن المحرّمات، والصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها؛ كالأمراض والفقر وفقد الأنفس والأموال وغيرها.

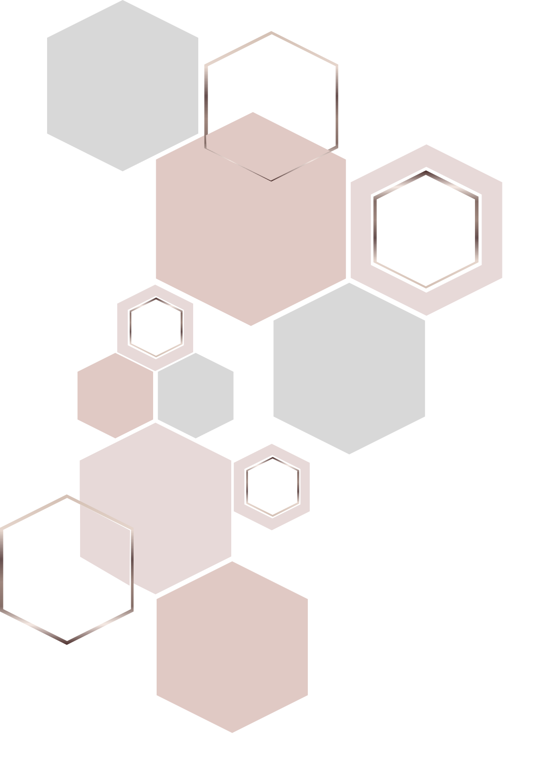
القسم الثاني: صبر مندوب: كالصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات.

القسم الثالث: صبر محرم: كالصبر على المحرّمات: كمن يصبر عن الطعام والشراب حتى يموت أو يصبر على ما يهلكه من سبع أو حية، أو حريق أو ماء، وهو يستطيع مدافعة ذلك بالأسباب النافعة.

القسم الرابع: صبر مكروه: كمن يصبر عن الطعام والشراب حتى يتضرر بذلك بدنه.

القسم الخامس: صبر مباح: وهو الصبر عن كل فعلٍ مستوي الطرفين خُيِّر بين فعله وتركه.

مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص١٩١



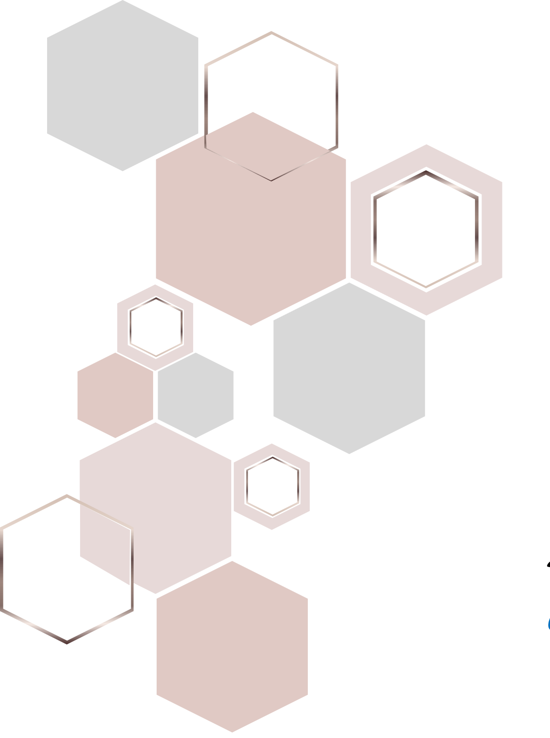
حكم الصبر:

يتألم الإنسان من المصيبة جدًا، ويحزن، ولكنه يصبر، لا ينطق بلسانه، ولا يفعل بجوارحه، قابض على قلبه، موقفه أنه قال:

" اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرا منها ". " إنا لله وإنا إليه راجعون ".

فحكم الصبر هنا الوجوب، فيجب على الإنسان أن يصبر على المصيبة، وألا يحدث قولا محرمًا، ولا فعلا محرمًا.

كتاب مجموع فتاوى ورسائل العثيمين – محمد بن صالح العثيمين – ج٣ ص ٢٠٥



مقامات الناس في المصائب:

المصابون لهم تجاه المصائب أربعة مقامات: المقام الأول: السخط، والثاني: الصبر، والثالث: الرضى، والرابع: الشكر.

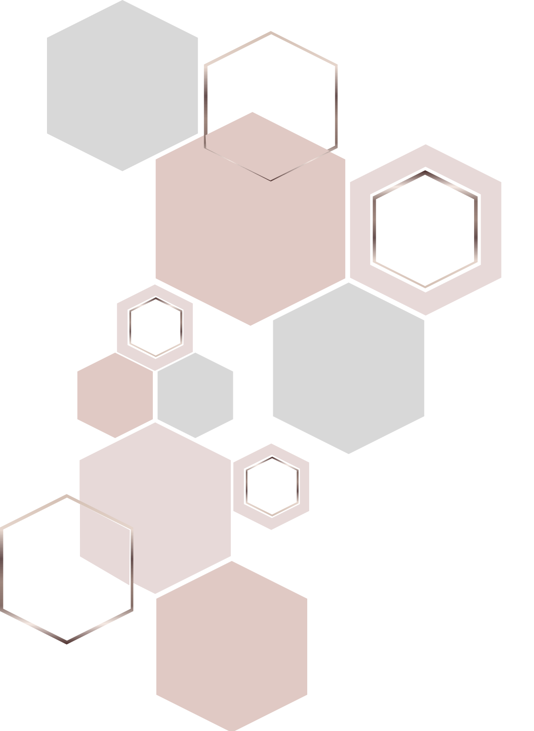
فأما السخط؛ فحرام، بل هو من كبائر الذنوب؛ مثل أن يلطم خده، أو ينتف شعره، أو يشق ثوبه، أو يقول: واثبوراه! أو يدعو على نفسه بالهلاك وغير ذلك مما يدل على السخط؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليسَ مِنَّا مَن لَطَمَ الخُدُودَ، وشَقَّ الجُيُوبَ، ودَعَا بدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ" (١).

الثاني: الصبر: بأن يحبس نفسه قلبًا ولسانًا وجوارح عن التسخط؛ فهذا واجب.

الثالث: الرضى: والفرق بينه وبين الصبر: أن الصابر يتجرع المر، لكن لا يستطيع أن يتسخط؛ إلا أن هذا الشيء في نفسه صعب ومر، لكن الراضي لا يذوق هذا مرًّا، بل هو مطمئن، وكأن هذا الشيء الَّذي أصابه لا شيء.
وجمهور العلماء على أن الرضى بالمَقْضِي مستحب، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الصحيح.

الرابع: الشكر: وهو أن يقول بلسانه وحاله: "الحمد لله"، ويرى أن هذه المصيبة نعمة.

كتاب شرح العقيدة الواسطية – محمد بن صالح العثيمين – ج٢ ص٣٤٩
(١) رواه البخاري (١٢٩٨)، ومسلم (١٠٣)



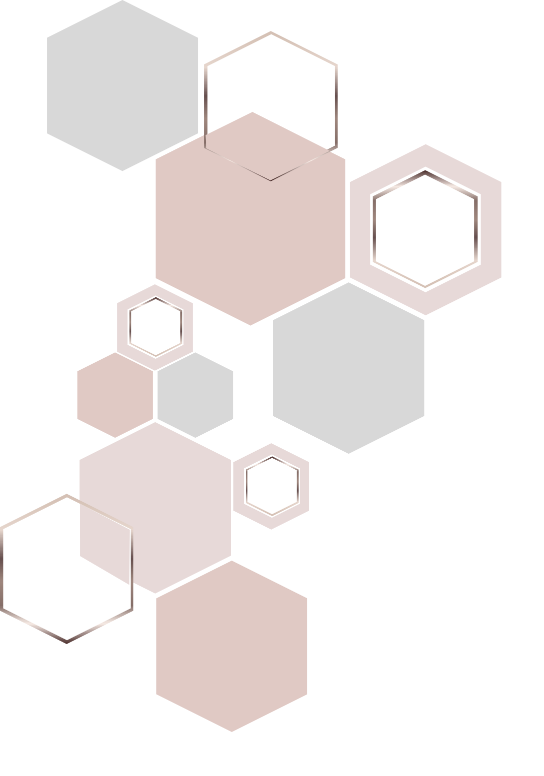
كيف يمكن للإنسان أن يصاب بمصيبة فيشكر الله، وهل هذا إلا مناف لطبيعة البشر؟

يكون هذا إذا عرف الإنسان قدر ثواب المصيبة إذا صبر عليها قال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر:١٠]، وقال: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)} [البقرة:١٥٥-١٥٧].

فيقول: ما أرخص الدنيا عندي، وما أقلها في عيني، إذا كنت أنال بهذه المصيبة التي صبرت عليها أنال هذه الصلوات، وهذه الرحمة من الله عز وجل، وهذا الأجر الذي أوفاه بغير حساب، فيشكر الله على هذه النعمة ويرى أن هذه من نعمة الله عليه؛ لأن كل الدنيا زائلة وفانية، والأجر والصلوات والرحمة باقية، فيشكر الله على هذه المصيبة.

والشكر هنا على المصيبة مستحب وليس بواجب؛ لأنه أعلى من الرضا، أما الشكر على النعم فهو واجب.

كتاب مجموع فتاوى ورسائل العثيمين – محمد بن صالح العثيمين – ج٣ ص ٢٠٥



مجالات الصبر:

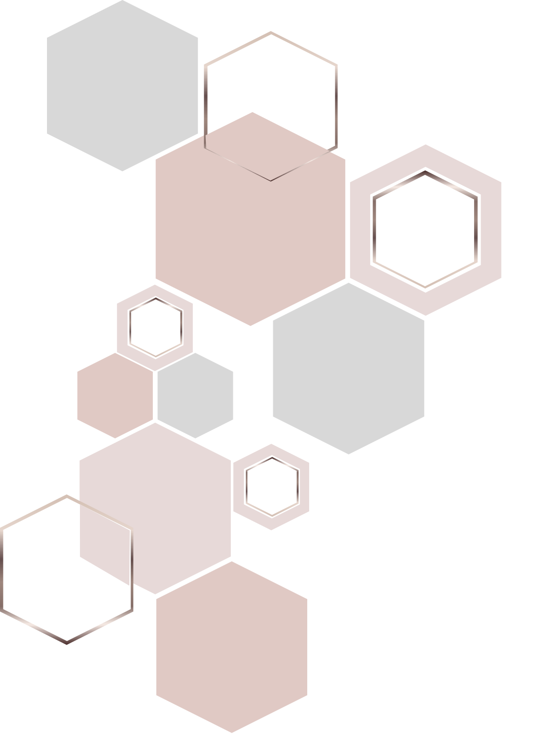
المؤمن يصبر على إيمانه بالله، ويصبر على العمل بما أوجب الله عليه، وترك ما حرم الله عليه، ويصبر في الدعوة إلى الله والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فلابد من الصبر في هذه الأمور كلها. فالدين كله يحتاج إلي صبر.

صبر على دعوة الله وحده، وصبر على أن تصلي وتزكي وتصوم وتحج وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

وصبر عن المحارم والسيئات؛ فتحذر من قربها، فالإنسان إذا لم يصبر وقع فيما حرم الله عليه، أو ترك ما أوجب الله عليه.

ولهذا قال تعالى لرسوله: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: جزء من الآية ٣٥].

كتاب شرح ثلاثة الأصول – عبد العزيز بن باز– ص٢٤



مجالات الصبر:

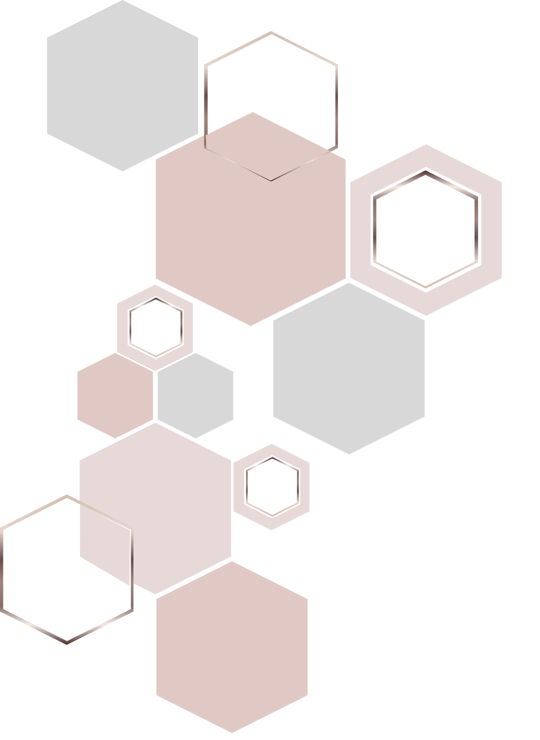
حين يتأمل المسلم في المجالات التي تحتاج إلى صبر في حياة الإنسان يتبيّن له أن الصبر ضرورة لكل عمل نافع: فكسب الرزق يحتاج إلى صبر، ومعاملة الناس تحتاج إلى صبر، والقيام بالواجبات والمستحبات يحتاج إلى صبر، والكفّ عن المحرمات والمكروهات يحتاج إلى صبر، والجهاد في سبيل الله يحتاج إلى صبر، ومقارعة شدائد الحياة ومقاومة مكارهها وتحمل تكاليفها يحتاج إلى صبر.

والدراسة والبحث العلمي والاجتهاد في استخراج الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية أمور تحتاج إلى صبر جميل، فلا يقوم بها إلا كل صابر، وكظم الغيظ والدفع بالتي هي أحسن أمور تحتاج إلى حظ عظيم من خلق الصبر.
والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتربية الأسرة المسلمة تربية إسلامية أمور تحتاج إلى صبر عظيم.

فالصبر ضرورة لازمة للإنسان ليبلغ آماله، وتنجح مقاصده، فمن صبر ظفر، فكل الناجحين في الدنيا والآخرة إنما حققوا آمالهم بالله ثم بالصبر.

كتاب مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص١٩٠

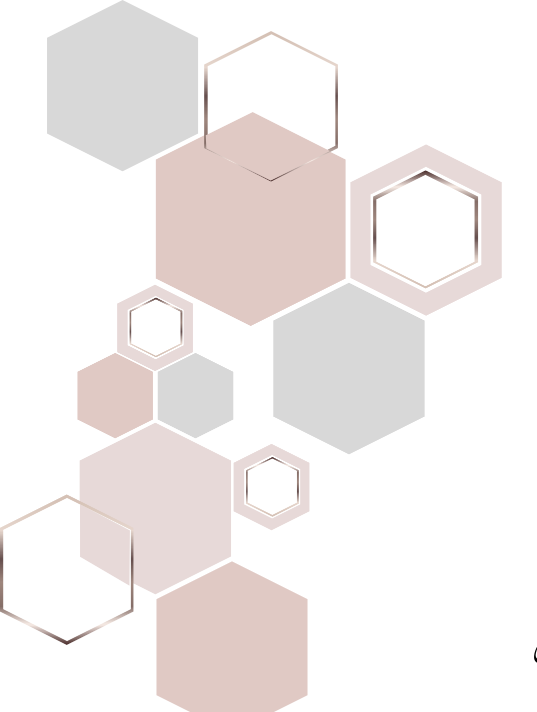




مجالات الصبر:

المجال الأول: ضبط النفس عن السأم والملل عند القيام بالأعمال التي تتطلب الصبر، والمثابرة خلال مدة مناسبة قد يراها المستعجل مدة طويلة.
المجال الثاني: ضبط النفس عن الضجر والجزع عند حلول المصائب والمكاره.
المجال الثالث: ضبط النفس عن العجلة والرعونة عند تحقيق مطلب من المطالب المادية أو المعنوية.
المجال الرابع: ضبط النفس عن الغضب والطيش عند مثيرات عوامل الغضب في النفس، ومحرضات الإرادة للاندفاع بطيش لا حكمة فيه ولا اتّزان في القول أو في العمل.
المجال الخامس: ضبط النفس عن الخوف عند مثيرات الخوف في النفس، حتى لا يجبن الإنسان في المواضع التي تحسن فيها الشجاعة، وتكون خيرًا، ويقبح فيها الجبن ويكون شرًا.
المجال السادس: ضبط النفس عن الطمع عند مثيرات الطمع حتى لا يندفع الإنسان وراء الطمع في أمرٍ يقبح الطمع فيه.
المجال السابع: ضبط النفس عن الاندفاع وراء أهوائها وشهواتها وغرائزها كلما كان هذا الاندفاع أمراً لا خير فيه.
المجال الثامن: ضبط النفس لتحمل المتاعب والمشاقّ والآلام الجسدية والنفسية كلما كان في هذا التحمل خير عاجل أو آجل.

كتاب مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص١٨٩

مجالات الصبر:

قال اللهُ عزَّ وجَلَّ:
{وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: ١ – ٣].

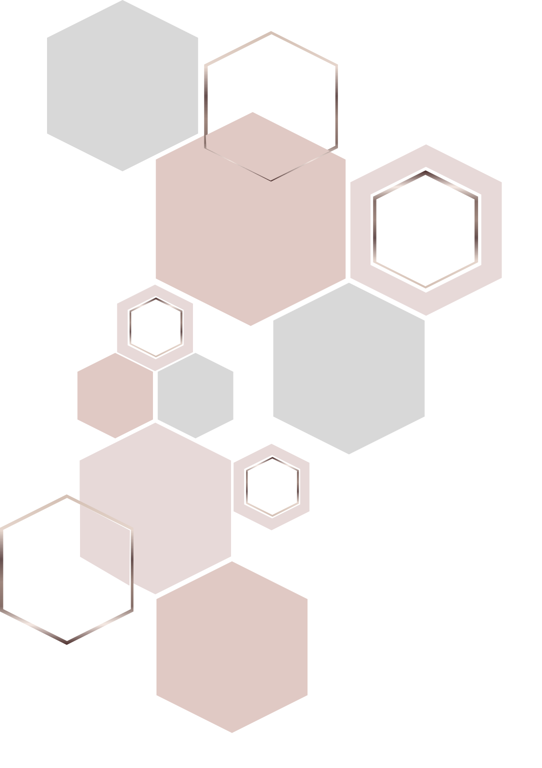
فلا بد من التواصي بالحق والصبر؛ إذ إن أهل الفساد والباطل لا يقوم باطلهم إلا بصبر عليه أيضا، لكن المؤمنون يتواصون بالحق والصبر، وأولئك يتواصون بالصبر على باطلهم، كما قال قائلهم: {أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} [ص: ٦] .

فالتواصي بالحق بدون الصبر كما يفعله الذين يقولون: آمنا بالله، فإذا أوذي أحدهم في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله، والذين يعبدون الله على حرف، فإن أصاب أحدهم خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، خسر الدنيا والآخرة.
والتواصي بالصبر بدون الحق، كقول الذين قالوا: {أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ} [ص: ٦] .كلاهما موجب للخسران.

وإنما نجا من الخسران الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وهذا موجود في كل من خرج عن هؤلاء من أهل الشهوات الفاسدة؛ وأهل الشبهات الفاسدة أهل الفجور وأهل البدع.

كتاب جامع الرسائل – ابن تيمية – ج٢ ص٣٩٤





موارد التسخط:

التسخط منافٍ للصبر، باللسان: تكلم باللسان، أو الجوارح: يضرب، أو في قلبه: يظن الظن السوء بالله عز وجل.

يقول: ما الذي أتاني، أنا لا أستاهل هذا، غيري أولى مني.

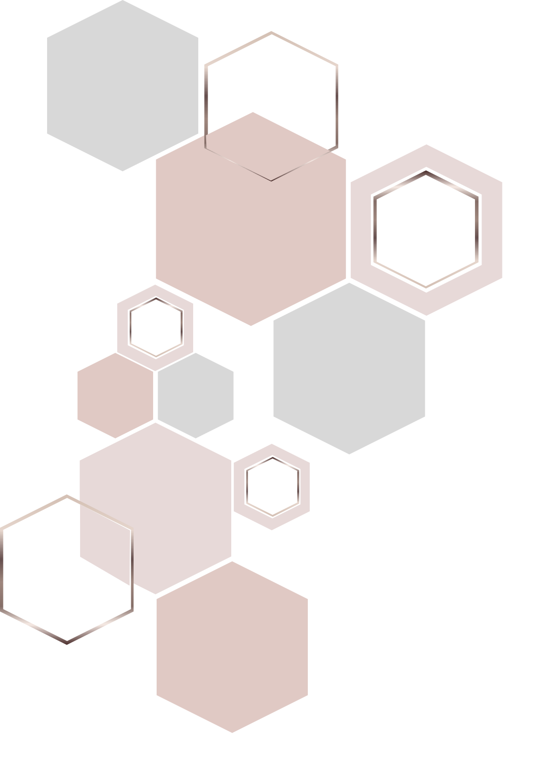
فالتسخط له ثلاثة موارد: تسخط بالقلب، تسخط باللسان، تسخط بالجوارح.(١)

لقد نهى الشارع الحكيم عن التسخط وعدم الرضا بالقدر؛ لما في ذلك من الاعتراض على الله سبحانه وتعالى وشرعه وحكمه؛ وهذا منافٍ للإيمان، ومن ذلك التسخط بكلمة (لو) على أقدار الله، والظن بأن الأسباب تغير المقادير.(٢)

---

(١) كتاب شرح العقيدة الطحاوية - إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل – صالح آل الشيخ – ص ٣٨٠
(٢) كتاب شرح فتح المجيد - عبد الله بن محمد الغنيمان – ج١٢٢ ص١





عاقبة الصابرين:

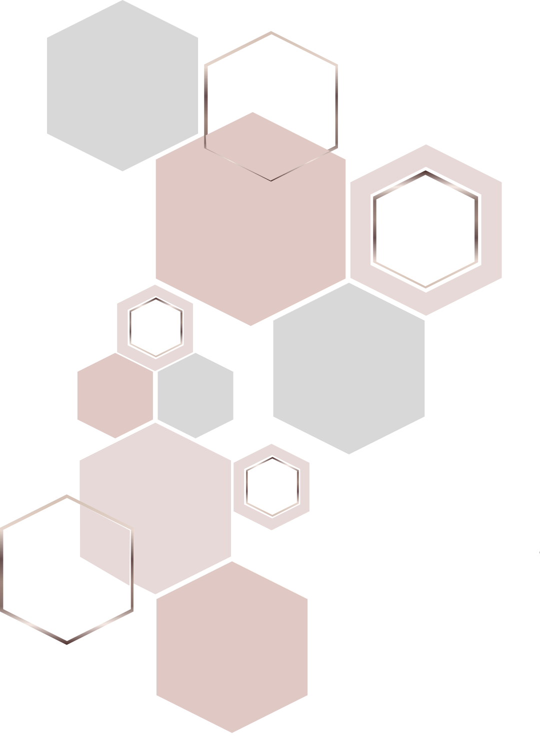
{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ١٥٥] فالبشرى وقعت للصابرين.

فمن ابتلي فرزق الصبر كان الصبر نعمة عليه في دينه، وحصل له بعد ما كفّر من خطاياه رحمة، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه، حيث قال: {أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: ١٥٧]

فحصل له غفران السيئات ورفع الدرجات، وهذا من أعظم النعم.

فالصبر واجب على كل مصاب، فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك.

كتاب جامع المسائل – ابن تيمية – ج٩ ص ٤٠٧



عاقبة الصابرين:

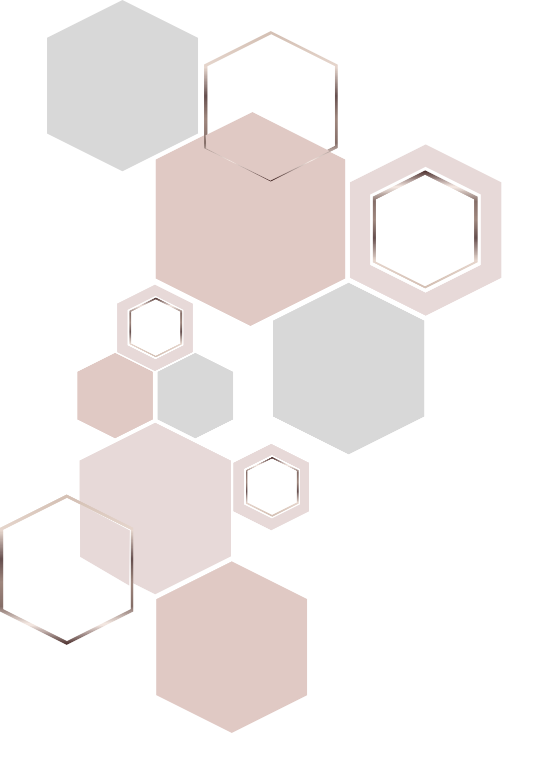
أولًا: لأنه إذا علم أن هذه المصيبة كفارة للذنب، وأن العقوبة على الذنب في الدنيا أهون من تأخير العقوبة في الآخرة؛ صارت هذه المصيبة عنده نعمة يشكر الله عليها.

وثانيًا: أن هذه المصيبة إذا صبر عليها أثيب؛ لقوله تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠].
فيشكر الله على هذه المصيبة الموجبة للأجر.

وثالثًا: أن الصبر من المقامات العالية عند أرباب السلوك، لا ينال إلا بوجود أسبابه، فيشكر الله على نيل هذا المقام.

ويُذْكَر أن بعض العابدات أصيبت في أصبعها، فشكرت الله، فقيل لها في ذلك، فقالت: إن حلاوة أجرها أنستني مرارة صبرها.

كتاب شرح العقيدة الواسطية – محمد بن صالح العثيمين – ج٢ ص٣٥٠

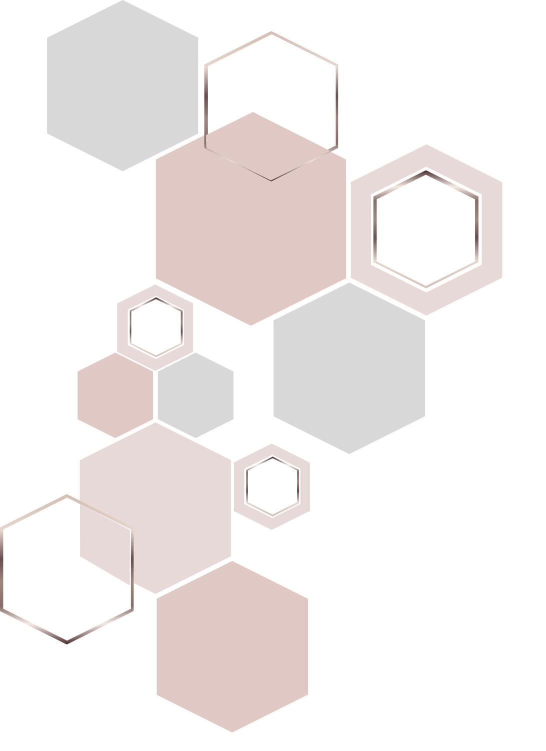


عاقبة الصابرين:

قوله جل وعلا: {وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال:٤٦

هذه من المعية الخاصة التي مقتضاها الحفظ والنصر والتأييد لمن اتصف بهذا الوصف، وامتثل هذا الأمر، اصبروا بجميع أنواع الصبر {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال:٤٦].

كتاب شرح العقيدة الواسطية – عبد الكريم الخضير – ج٢ ص١٥

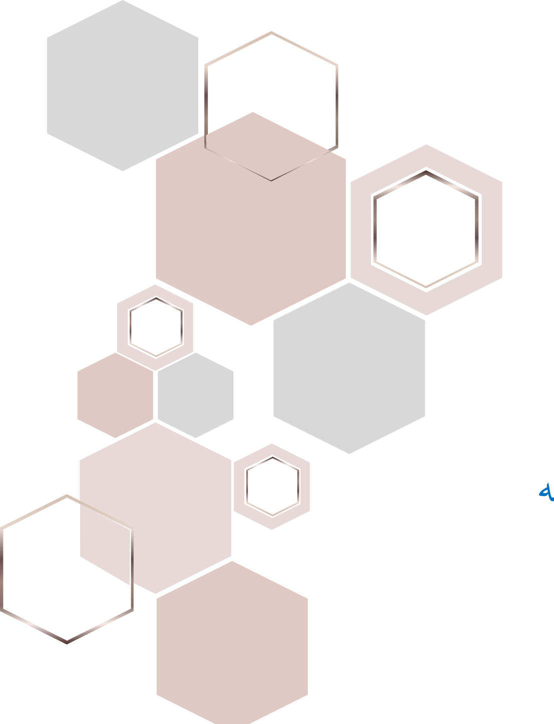


عاقبة الصابرين:

لم يذكر الله جل وعلا في الصبر أن الحسنة فيه بعشر أمثالها أو بسبعمائة ضعف، لا، بل أخبر أنه يوفي الصابر أجره بغير حساب، بدون تضعيف في الأجر، أو أن أجره ينتهي إلى عدد معين؛ وذلك لما يواجهه الصابر من البلاء والامتحان والفتن، ولا يطيق ذلك إلا من تمحص إيمانه وأيقن بربه جل وعلا، وأصبحت لا تؤثر عليه المصائب التي دون دينه، فكل مصيبة دون الدين يرى أنها ليست بشيء، وأنها سوف تنتهي وتضمحل.

ولا شك أن الأمر سريع جداً، فإذا قدر أن إنساناً اتبع أمر الله واجتنب نهيه على مضض ومرارة وآلام ومقاساة، وإنسان آخر ارتكب مناهي الله ولم يمتثل أمره، وصار يمرح ويفعل ما يريد وما يشاء، فإن أمر هذا وأمر هذا سوف ينتهي سريعاً كأن لم يكن شيء من ذلك، ثم العاقبة بعد ذلك أن هذا يكون في نعيم لا نهاية له، وهذا في عذاب لا انقطاع له، ويصبح الشيء الذي مر نسياً كأن لم يكن، فيكون هذا الذي ارتكب المناهي هو المغبون الذي باع نفسه، وخسر كل الخسران.
والآخر صبر ساعة وانتهت كأن لم تكن، فحمد عقبى صبره، ولقي رضى ربه، وفاز بثوابه الذي لا انقطاع له.

كتاب شرح فتح المجيد - عبد الله بن محمد الغنيمان – ج٨٩ ص ٤

عظم الجزاء مع عظم البلاء:

{سُئِلَ رسولُ اللهِ أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً قال الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثلُ يُبتَلى الناسُ على قدرِ دِينِهم فمن ثَخنَ دِينُه اشتدَّ بلاؤه ومن ضعُف دِينُه ضعُفَ بلاؤه وإنَّ الرجلَ لَيصيبُه البلاءُ حتى يمشيَ في الناسِ ما عليه خطيئةٌ}(١)

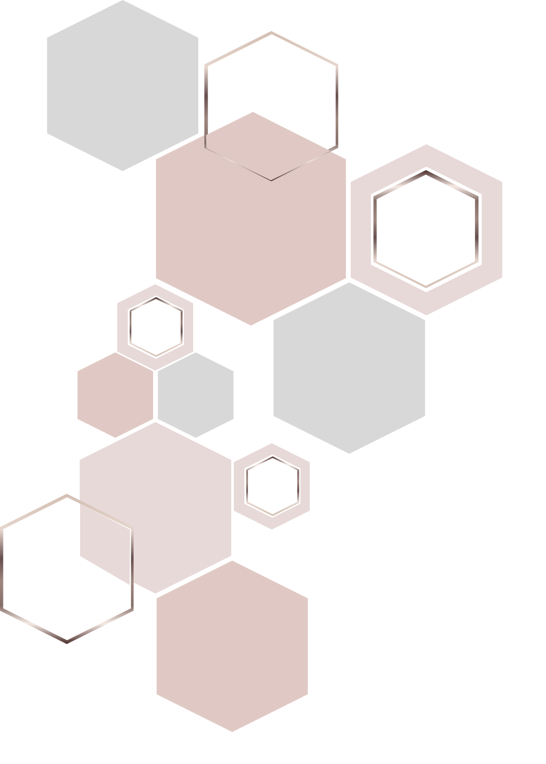
وحينئذ فيحتاج من الصبر ما لا يحتاج إليه غيره: وذلك هو سبب الإمامة في الدين؛ كما قال تعالى:
{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة:٢٤].

فلا بد من الصبر على فعل الحسن المأمور به، وترك السيئ المحظور؛ ويدخل في ذلك الصبر على فعل الأذى، وعلى ما يقال؛ والصبر على ما يصيبه من المكاره؛ والصبر عن البطر عند النعم، وغير ذلك من أنواع الصبر.

ولا يمكن العبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئن به ويتنعم به ويغتذى به وهو اليقين.

كتاب مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ج٢٨ ص ١٥٣
(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٩٢٠) ، صحيح الترغيب (٣٤٠٢)





الأمور العامة المعينة على الصبر:

أولاً: معرفة طبيعة الحياة الدنيا:

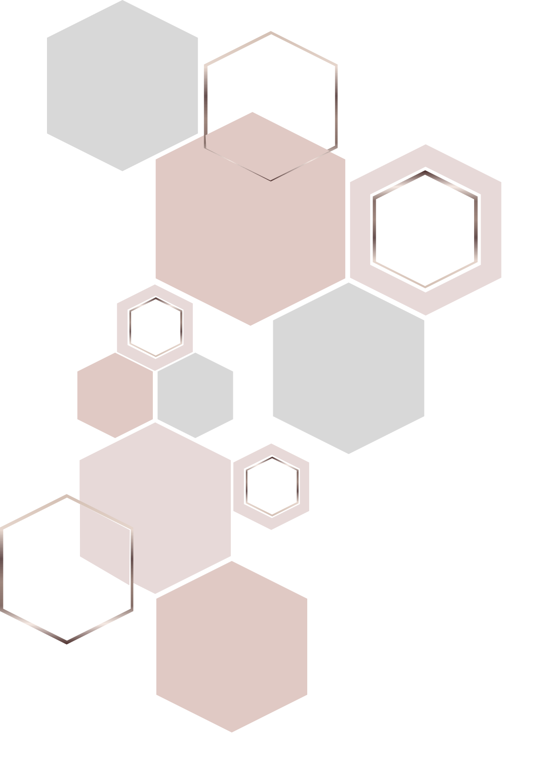
لعل أقرب أمر يعين الإنسان على الصبر ويحمل النفس عليه هو تصوّر الحياة التي يعيش فيها، ومعرفتها على حقيقتها وواقعها، فهي ليست جنة نعيم، ولا دار مُقامة، إنما ممرّ ابتلاء وتكليف؛ لذلك فالكَيِّس الفطن لا يفاجأ بكوارثها، فالشيء من معدنه لا يستغرب.

ثانياً: اليقين بحسن الجزاء عند الله:

إذا علم العبد أن الصابرين ينتظرهم أحسن الجزاء عند الله حين يرجعون إليه، ويقفون بين يديه، فيعوضهم عن صبرهم خيراً، ويمنحهم أجراً، ويجزل لهم المثوبة، فإنه لاشك يتصبّر ويرضى بما قدّره الله.

ولا يجد المتتبع لآيات القرآن الكريم شيئاً ضُخِّمَ جزاؤه، وعُظِّم أجره مثل الصبر. {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠].

كتاب مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص٢٤٩



الأمور العامة المعينة على الصبر:

ثالثاً: معرفة الإنسان نفسه:

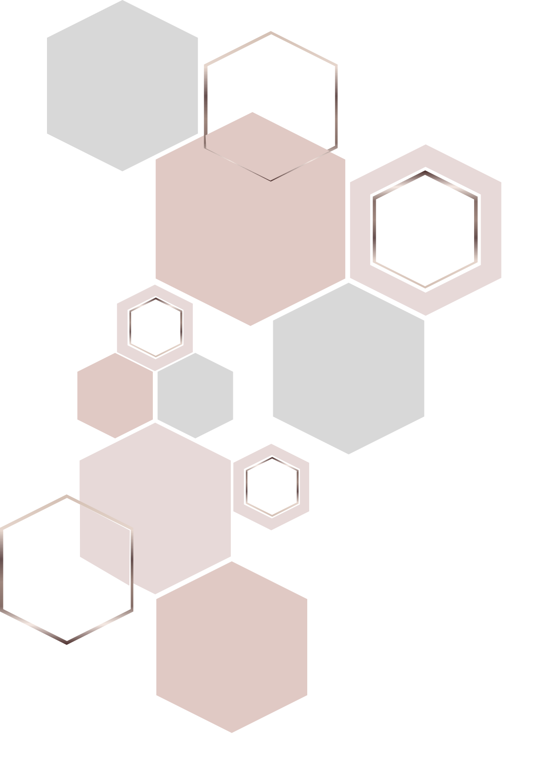
الله سبحانه وتعالى هو الذي منح الإنسان الحياة؛ فخلقه من عدم، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فهو ملك لله أولاً وآخرًا، لذلك فإذا نزل بالعبد نازل سلبه شيئًا مما عنده، فإنما استردّ صاحب الملك بعض ما وهب، ولا ينبغي للمودَع أن يسخط على صاحب العارية إذا استردَّها.

رابعاً: اليقين بالفرج:

لا يشك العاقل أن نصر الله قريب، وفرجه آتٍ لا ريب فيه، وأن بعد الضيق سعة، ومع العسر يسرًا؛ لأن الله وعد بهذا، والله لا يخلف الميعاد، هذا اليقين جدير أن يبدد ظلمة القلق، ويقهر شبح اليأس، ويضيء نفس المؤمن بنور الصبر الذي لا يخبو.

ولذلك ورد الصبر في كتاب الله مقرونًا بأن وعد الله حق كما في قوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ} [الروم:٦٠].

كتاب مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص٢٥١



الأمور العامة المعينة على الصبر:

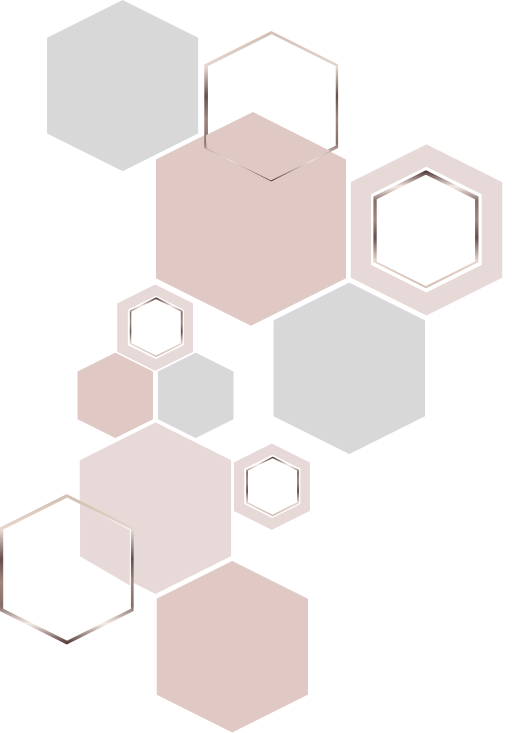
خامسًا: الاستعانة بالله:

إذا استعان العبد بربه ولجأ إلى حماه شعر بالطمأنينة في قلبه، والسكينة تملأ جوارحه، فمن كان في حمى الله فلن يضام. قال تعالى: {اسْتَعِينُوا بِالله وَاصْبِرُواْ} [الأعراف: ١٢٨] ومن كانت معيّة الله معه وعين الله ترعاه، فهو حقيق أن يتحمل المتاعب، ويصبر على الأذى.

سادسًا: التأسّي بأهل الصبر والعزائم:

إن التأمّل في سِير الصابرين، وما لاقوه من ألوان الشدائد، وما ذاقوه من صنوف البلاء يعين على الصبر، ويطفئ نار المصيبة ببرد التأسي، ومن هنا حرص القرآن الكريم والسنة النبوية على ذكر قصص الأنبياء والصالحين تسلية للنبي - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين، وتثبيتاً لقلوبهم في مواجهة البلاء والفتن. قال تعالى: {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود: ١٢٠]

كتاب مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص٢٥٦



الأمور العامة المعينة على الصبر:

سابعاً: الإيمان بقدر الله وقضائه:

على المسلم أن يعلم علم اليقين أن قدر الله نافذ لا محالة، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام وطويت الصحف. قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ الله وَمَن يُؤْمِن بِالله يَهْدِ قَلْبَهُ وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التغابن:١١]

ثامناً: استصغار المصيبة:

قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "يا أيها الناسُ أيُّما أحدٍ من الناسِ أو من المؤمنينَ أُصيبَ بمصيبةٍ فلْيتعزَّ بمصيبتِه بي عن المصيبةِ التي تُصيبُه بغيري، فإنّ أحدًا من أمَّتي لن يُصابَ بمصيبةٍ بعدي أشدَّ عليه من مصيبتي" (١).

وإذا ذكرت محمداً ومصابَهُ ... فاذكر مصابك بالنبي محمّدِ

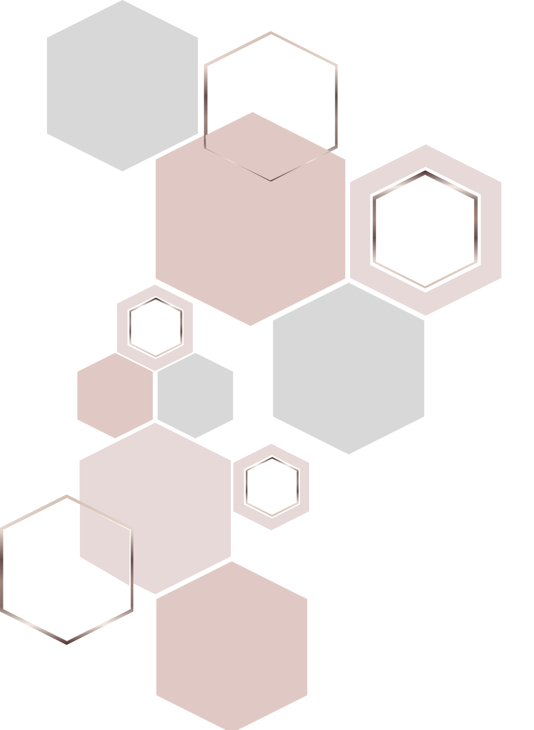
تاسعاً: الحذر من الآفات العائقة في الطريق:

لابدَّ للناس عامة وللمؤمنين خاصة أن يحذروا من الآفات النفسية التي تعتري النفس البشرية فتعيق الصبر وتعترض طريقه وهي:

١ـ الاستعجال ٢ـ الغضب ٣ـ الضيق ٤ـ اليأس.

كتاب مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص٢٥٧

(١) أخرجه ابن ماجه واللفظ له، في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة ، برقم (١٥٩٩)



الأمور المعينة على الصبر عن المعاصي:

أولاً: علم العبد بقبحها ورذالتها ودناءتها، وأن الله إنما حرَّمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدَّنايا والرذائل.

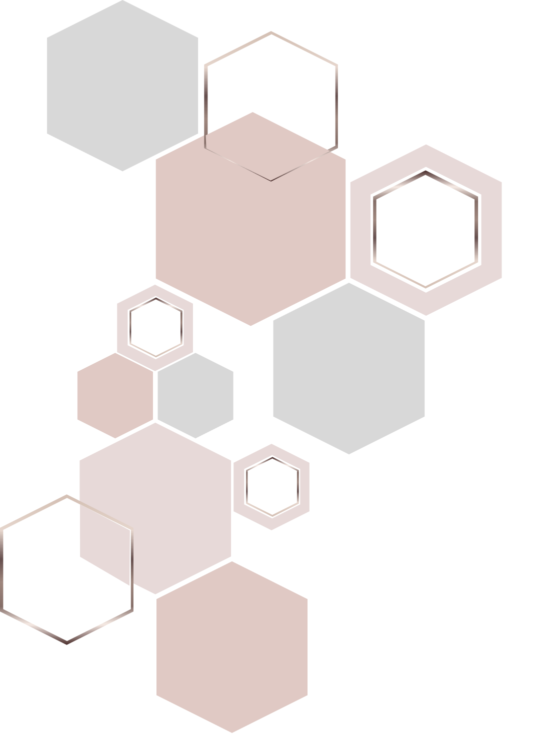
ثانيًا: الحياء من الله سبحانه؛ فإن العبد متى علم بنظر الله إليه، ومقامه عليه، وأنه بمرأى منه ومسمع، وكان حييّاً استحيا من ربه أن يتعرض لمساخطه.

ثالثًا: مراعاة نعمه عليك وإحسانه إليك؛ فإن الذنوب تزيل النعم ولابدَّ، فما أذنب عبدٌ ذنبًا إلا زالت عنه نعمة من الله بحسب ذلك الذنب، فإن تاب ورجع رجعت إليه أو مثلها، وإن أصرّ لم ترجع إليه، ولا تزال الذنوب تزيل عنه نعمة نعمة حتى تسلب النعم كلها، كما قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ الله لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال: ٥٣].

رابعًا: خوف الله وخشية عقابه، وهذا إنما يثبت بتصديقه في وعده ووعيده، وهذا السبب يَقْوَى بالعلم واليقين، ويضعف بضعفهما.

خامسًا: محبة الله، وهي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه؛ فإن المحب لمن يحب مطيع.

كتاب مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص٢٦٢



الأمور المعينة على الصبر عن المعاصي:

سادسًا: شرف النفس وزكاؤها وأنفتها وحميتها أن تختار الأسباب التي تحطّها وتضع قدرها، وتخفض منزلتها وتحقرها.

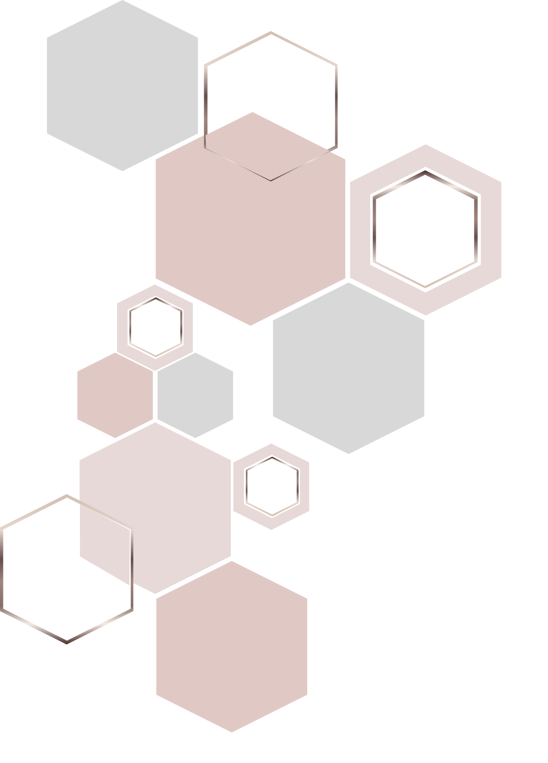
سابعًا: قوة العلم بسوء عاقبة المعصية، وقبح أثرها والضرر الناشئ منها: من سواد الوجه، وظلمة القلب، وضيقه وغمّه، وحزنه وألمه، والعبد إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء، فذلك هو الران قال الله تعالى: {كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين:١٤].

ثامنًا: قصر الأمل، وعلمه بسرعة انتقاله، وأنه كمسافر دخل قرية وهو عازم على الخروج منها، أو كراكب قال في ظل شجرة ثم سار وتركها، فليس للعبد أنفع من قصر الأمل، ولا أضرّ من التسويف وطول الأمل.

تاسعًا: مجانبة الفضول في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه واجتماعه بالناس؛ فإن قوة الداعي إلى المعاصي إنما تنشأ من هذه الفضلات.

عاشرًا: ثبات شجرة الإيمان في القلب، وهو الجامع لهذه الأسباب كلها: فصبر العبد عن المعاصي إنما هو بحسب قوة إيمانه، فكلما كان إيمانه أقوى كان صبره أتمّ، وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر. والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم..

كتاب مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص٢٦٤

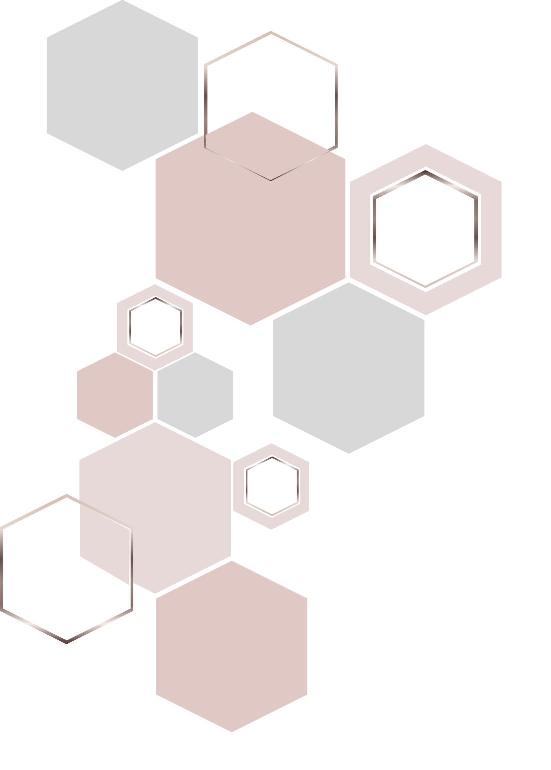


الأمور المعينة على الصبر على الطاعات:

الصبر على الطاعة ينشأ من معرفة ما تجلبه الطاعة من العواقب الحميدة والآثار الجميلة.

ومن أقوى أسبابها الإيمان والمحبة، فكلما قوي داعي الإيمان والمحبة لله تعالى، ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - في القلب كانت استجابته للطاعة بحسبه.

كتاب مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص٢٦٥



الأمور المعينة على الصبر على المصيبة والبلاء وأقدار الله المؤلمة:

أولا: معرفة جزائها وثوابها.

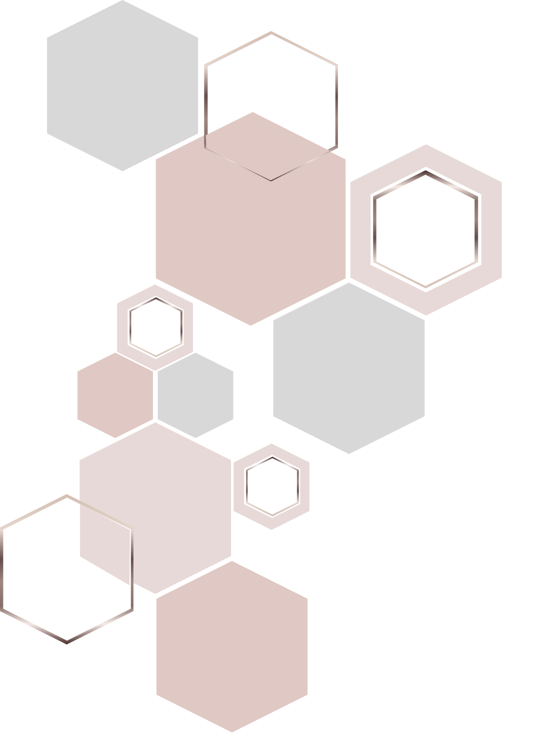
ثانيًا: العلم بتكفيرها للسيئات ومحوها لها.

ثالثًا: الإيمان بالقدر السابق الجاري بها، وأنها مقدرة في أم الكتاب قبل أن يخلق فلابد منها، فجزعه لا يزيده إلا بلاء.

رابعًا: معرفة حق الله عليه في تلك البلوى، وواجبه فيها الصبر بلا خلاف بين الأمة، أو الصبر والرضا على أحد القولين، فهو مأمور بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى، فلابد له منه وإلا تضاعف عليه.

خامسًا: العلم بترتبها عليه بذنبه، كما قال الله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠] فهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة، فشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم أسباب دفع تلك المصيبة.

كتاب مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص٢٦٦



الأمور المعينة على الصبر على المصيبة والبلاء وأقدار الله المؤلمة:

سادسًا: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها له وقسمها وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه، فإن لم يوفِّ قدر المقام حقه فهو لضعفه، فلينزل إلى مقام الصبر عليها، فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدي الحق.

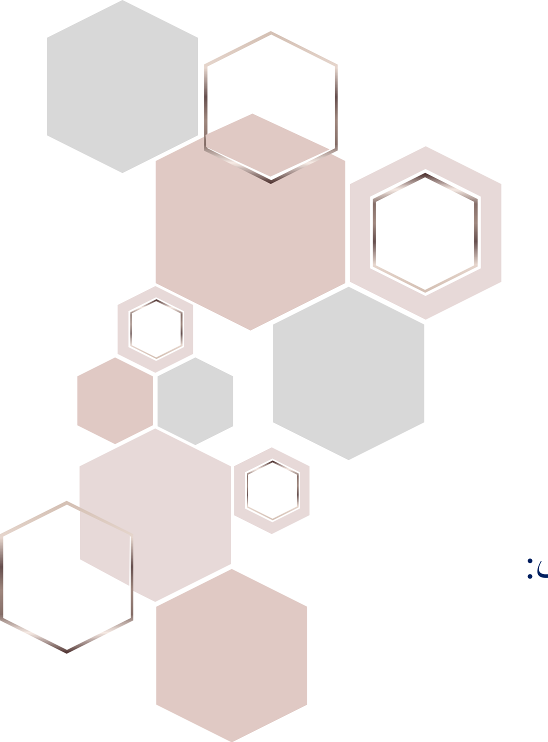
سابعًا: أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواءٌ نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته، الرحيم به، فليصبر على تجرعه.

ثامنًا: أن يعلم أن في عُقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم تحصل بدونه، فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره. قال الله تعالى: {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦] {فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: ١٩] .

تاسعًا: أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه.

عاشرًا: أن يعلم أن الله يربِّي عبده على السراء والضراء، والنعمة والبلاء، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال؛ فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال.

كتاب مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني – ص٢٦٧

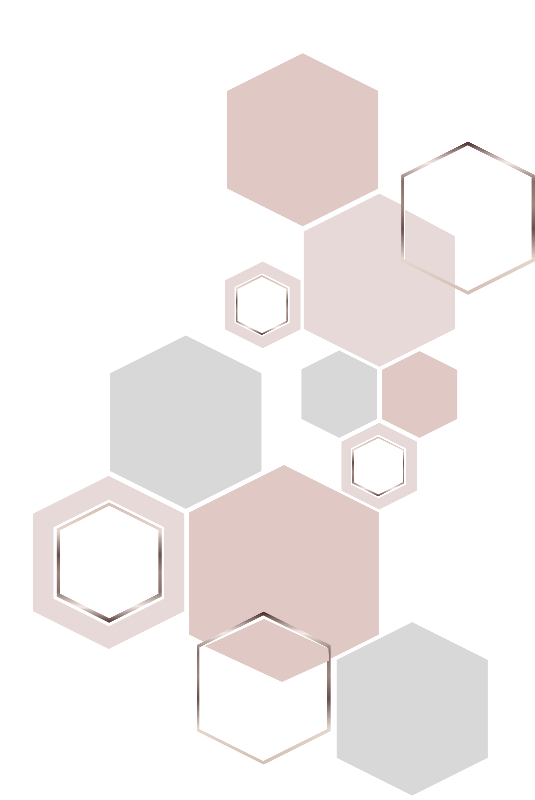
عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّه قال:

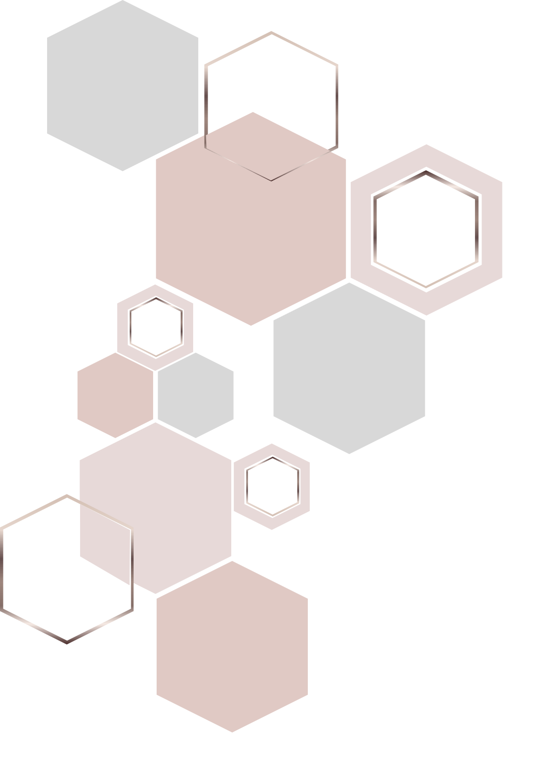
((إنَّ ناسًا من الأنصارِ سألوا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فأعطاهم، ثمَّ سألوه فأعطاهم. حتَّى إذا نفِدَ ما عنده قال:

ما يكُنْ عندي من خيرٍ فلن أدَّخِرَه عنكم. ومن يستعفِفْ يُعِفَّه اللهُ، ومن يستغْنِ يُغنِه اللهُ. ومن يصبِرْ يُصبِّرْه اللهُ،

وما أعطيَ أحدٌ من عطاءٍ خيرٍ وأوسَعَ من الصَّبرِ))

رواه البخاري (١٤٦٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٣)

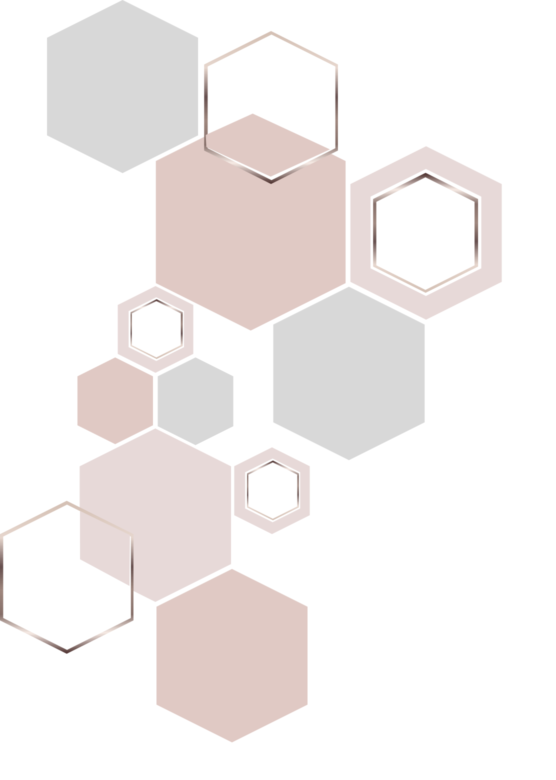




ثانيًا:

عبادة الشكر





{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: ١٤]

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧]

{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ} [البقرة:١٥٢]

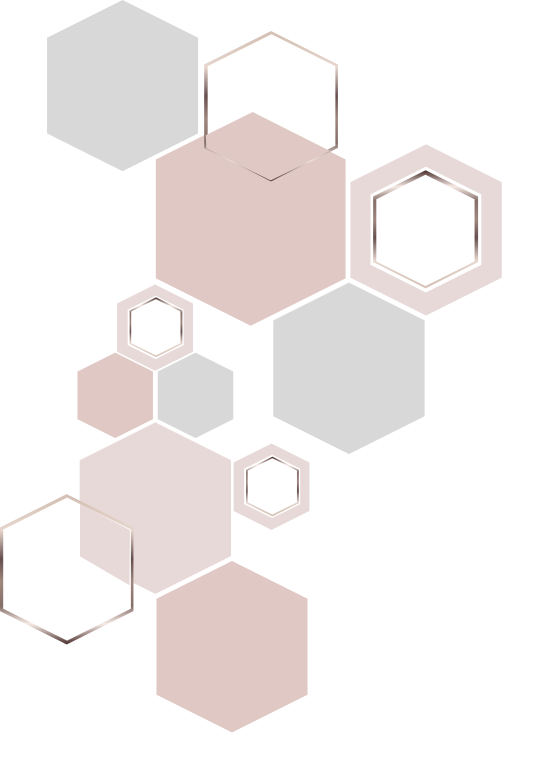
{إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ}[الزمر:٧]

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢]

{قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف: ١٤٤]

{فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [العنكبوت:١٧]





مفهوم الشكر لغة واصطلاحًا:

«الشكر: عرفان الإحسان ونشره، وهو مأخوذ من قولك: شكرت الإبل تشكر إذا أصابت مرعى فسمنت عليه، والشكران خلاف النكران. والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل.

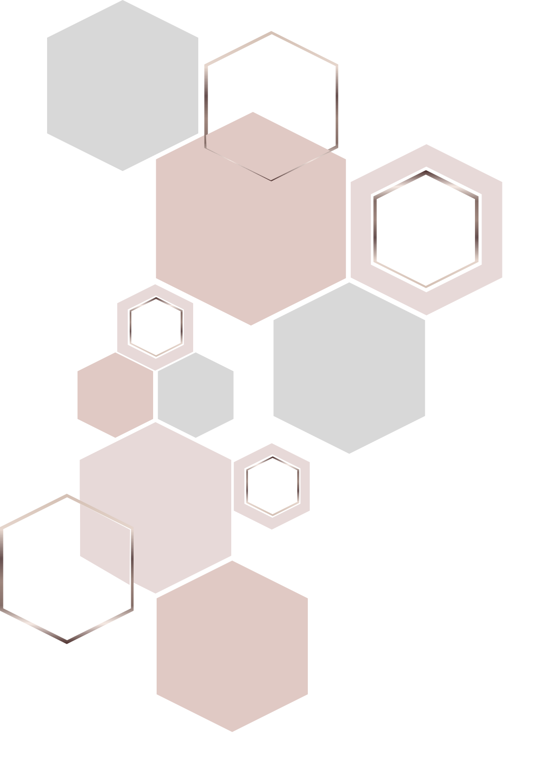
ويقال: شكره وشكر له يشكر شكرًا وشكورًا وشكرانا.

ويقال أيضا: شكرت الله، وشكرت لله، وشكرت بالله، وكذلك شكرت نعمة الله، ورجل شكور: كثير الشكر، وهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظف عليه من عبادته (١)

الشكر كل ما هو جزاء للنعمة عرفا،
أصل الشكر: تصور النعمة وإظهارها، والشكر من العبد: عرفان الإحسان، ومن الله المجازاة والثناء الجميل.(٢)

---

(١) معجم لسان العرب (٤/ ٢٣٠٥- ٢٣٠٨) .
(٢) كتاب الكليات – أبو البقاء الكفوي – ص (٥٢٣)



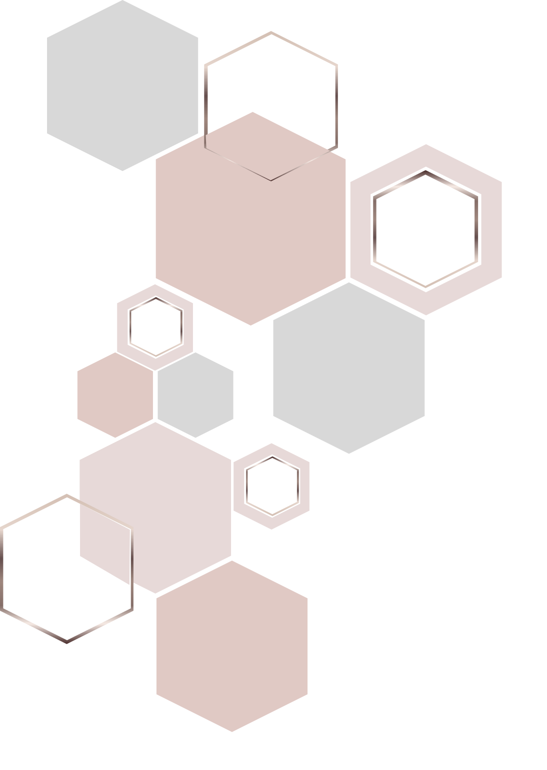
من أسمائه تعالى الشاكر الشكور

وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل، ولا يضيع أجر من أحسن عملا، بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة بغير عدٍ ولا حساب،

ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة،

وقد يجزئ الله العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل، وليس عليه حق واجب بمقتضى أعمال العباد، وإنما هو الذي أوجب الحق على نفسه كرمًا منه وجودًا، والله لا يضيع أجر العاملين به إذا أحسنوا في أعمالهم، واخلصوها لله تعالى.

كتاب تفسير أسماء الله الحسنى - عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ص ٢١٠



بين الشكر والحمد:

الشكر لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه؛ لكنه يكون بالقلب واليد واللسان كما قيل:

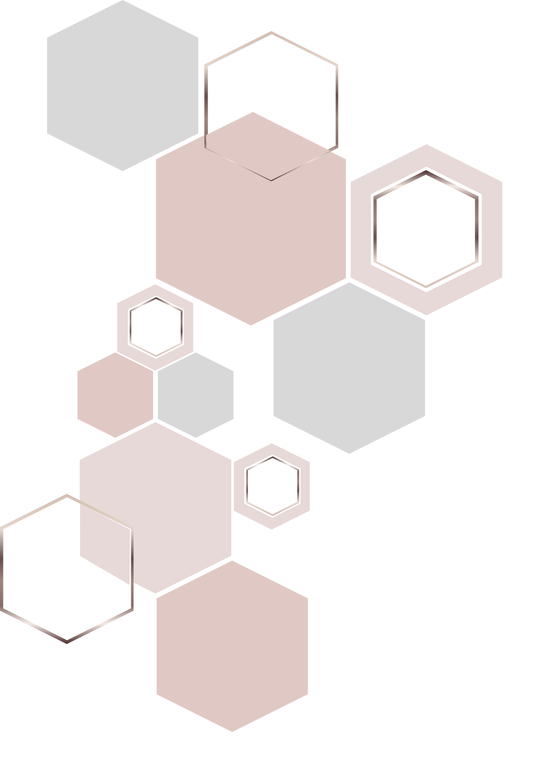
أفادتكم النعماء مني ثلاثة: يدي ولساني والضمير المحجبا

ولهذا قال تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا} [سبأ:١٣]

و" الحمد " إنما يكون بالقلب واللسان؛ فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه.

وفي الصحيح عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنه قال: {إنَّ اللَّهَ لَيَرضى مِن العبدِ أن يأكُلَ الأَكلَةَ فيحمَدَهُ عليها ويشرَبَ الشَّربَةَ فيحمَدَهُ علَيها} (١) والله أعلم.

كتاب مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ج١١ ص ١٣٤
(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٣٤)

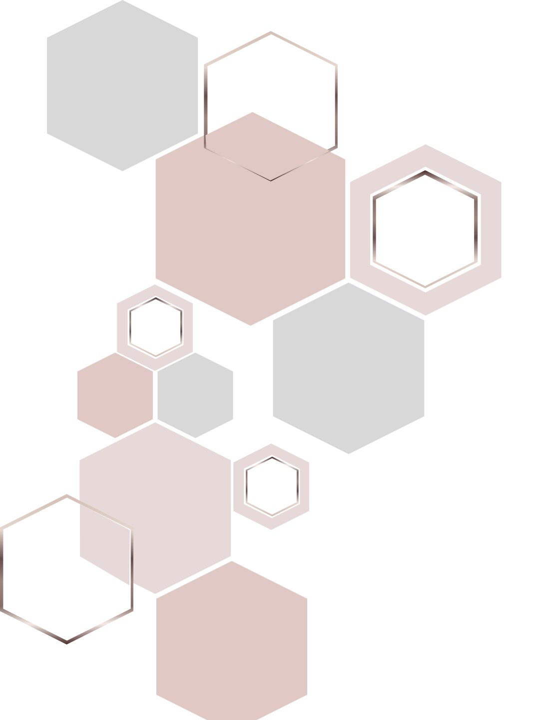


بين الشكر والحمد:

الشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح: فالقلب للمعرفة والمحبة، واللسان للثناء والحمد، والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور وكفها عن معاصيه.

والشكر أخص بالأفعال، والحمد أخص بالأقوال. وسبب الحمد أعم من سبب الشكر، ومتعلق الشكر وما به الشكر أعم مما به الحمد. فما يحمد الرب تعالى عليه أعم مما يشكر عليه، فإنه يحمد على أسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه، ويشكر على نعمه. وما يحمد به أخص مما يشكر به، فإنه يشكر بالقلب واللسان والجوارح، ويحمد بالقلب واللسان.

كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين – ابن القيم – ج١ ص ٢٩٣



التذكير بنعم الله تعالى:

قال ابن قتيبة: لما عدد الله في سورة الرحمن نعماءه وذكر عباده آلاءه ونبههم على قدرته جعل كل كلمة من ذلك فاصلة بين نعمتين؛ ليفهمهم النعم ويقررهم بها.

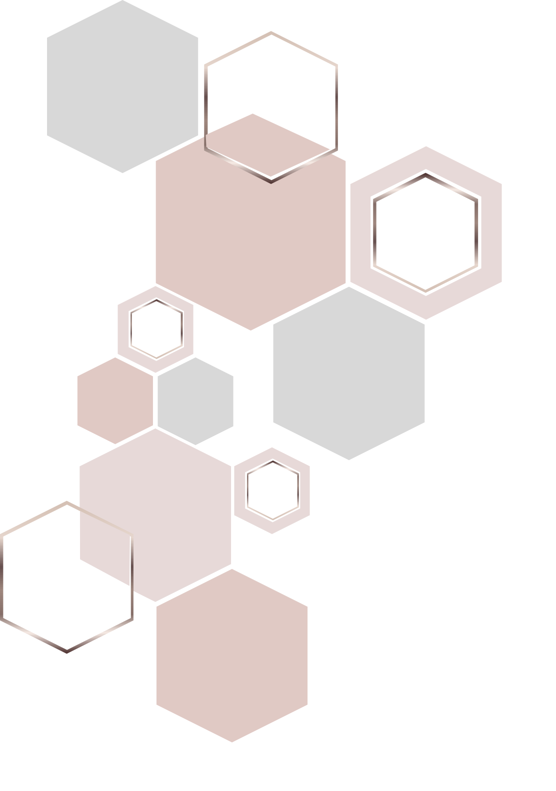
وقد روى الحاكم في صحيحه والترمذي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحمن حتى ختمها، ثم قال: ما لي أراكم سكوتا؟ للجن كانوا أحسن منكم ردا، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة - {فبأي آلاء ربكما تكذبان} - إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد}.(١)

والله تعالى يذّكر في القرآن بآياته الدالة على قدرته وربوبيته، ويذكر بآياته التي فيها نعمه وإحسانه إلى عباده، ويذكر بآياته المبينة لحكمته تعالى، وهي كلها متلازمة؛ فكل ما خلق فهو نعمة ودليل على قدرته وعلى حكمته.

لكن نعمة الرزق والانتفاع بالمآكل والمشارب والمساكن والملابس ظاهرة لكل أحد؛ فلهذا يستدل بها كما في سورة النحل، وتسمى سورة النعم كما قاله قتادة وغيره.

كتاب مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ج١٤ ص ٣٠٧

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩١) واللفظ له، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٤٤١٧).



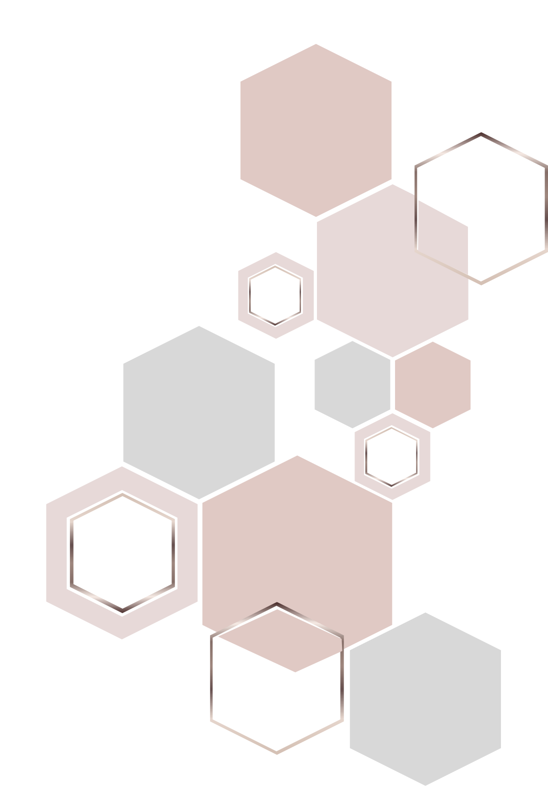
أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أخذَ بيدِه وقال:

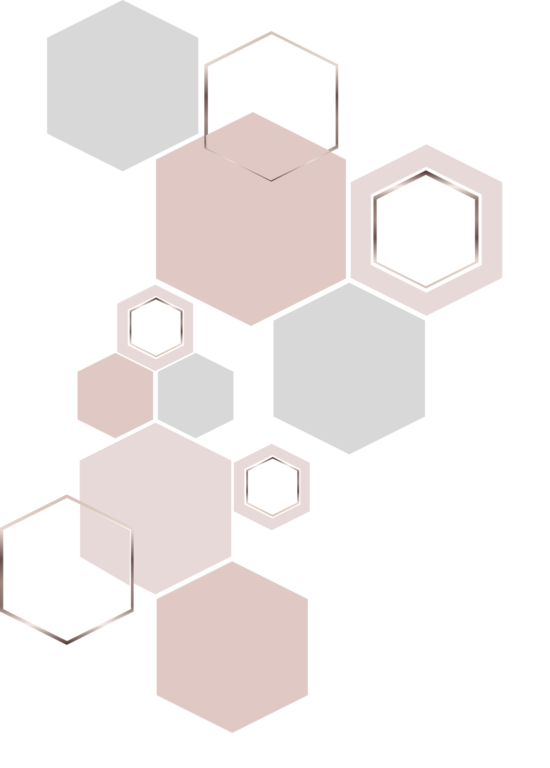
"يا معاذُ، واللَّهِ إنِّي لأحبُّكَ. فقالَ: أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعَنَّ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ تقولُ:

اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكرِك وشُكرِك وحسنِ عبادتِكَ"

الراوي: معاذ بن جبل، الصحيح المسند (١١٠٧)

أخرجه أبو داود (١٥٢٢) والنسائي (١٣٠٣) وأحمد (٢٢١١٩)



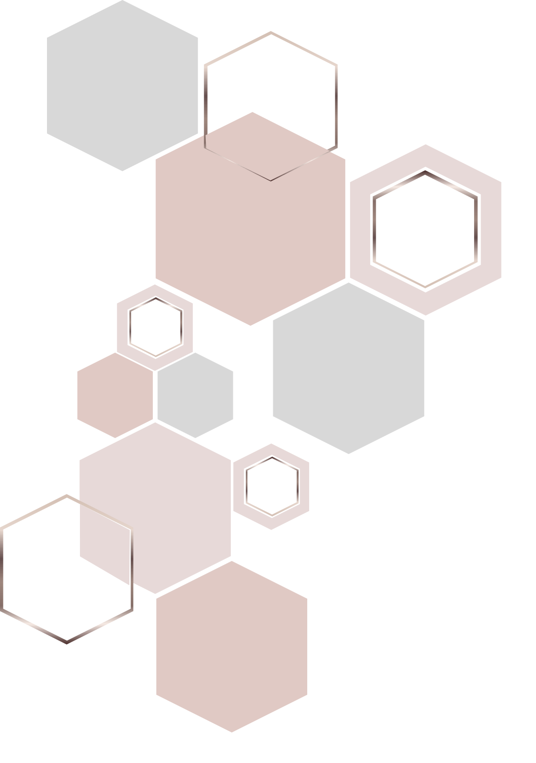
أصل الشكر:

أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلاً بها لم يشكرها.
ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضًا.
ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها.
ومن عرف النعمة والمنعم بها، وأقرّ بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ولم يحبه ويرضَ به وعنه لم يشكره أيضًا.

ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها، وخضع للمنعم بها، وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها.
فلا بد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له.

كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين - ابن القيم – ج١ ص٢٠٣





أركان الشكر:

شكر العبد يدور على ثلاثة أركان، لا يكون شكورا إلا بمجموعها:

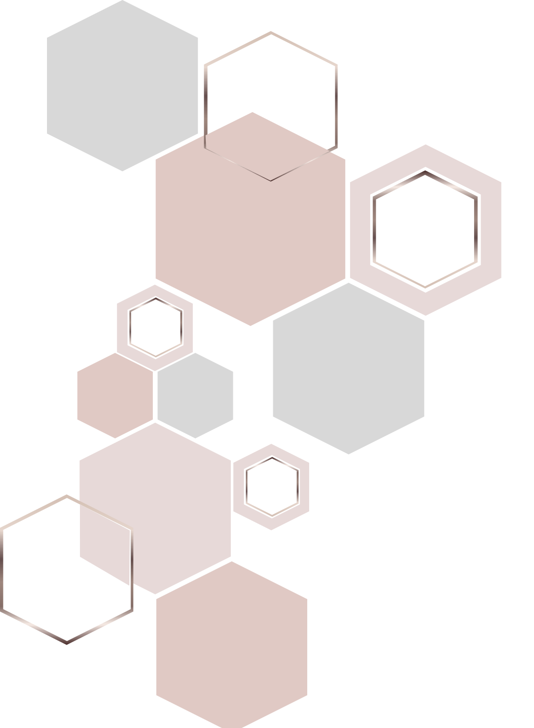
أحدها: اعترافه بنعمة الله عليه.

والثاني: الثناء عليه بها.

والثالث: الاستعانة بها على مرضاته.

كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين – ابن القيم – ج١ ص٢٩٠



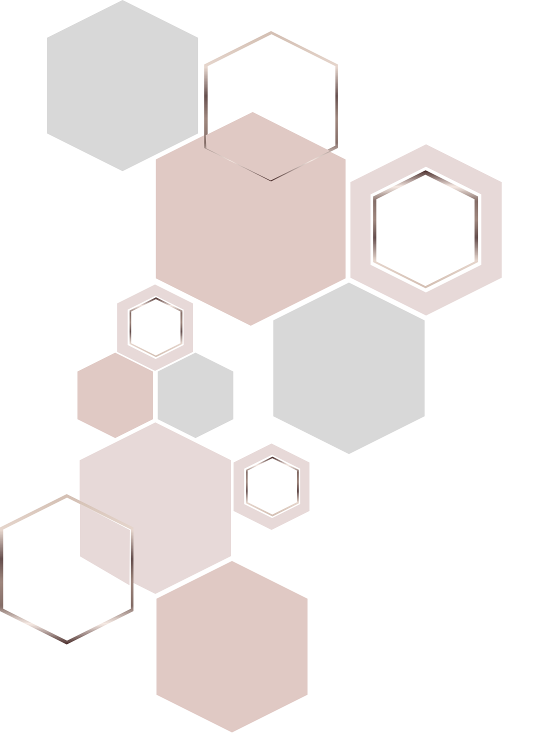


أركان الشكر:

الشكر حقيقة هو طاعة الله عز وجل، ويدل على أن الشكر هو طاعة الله قول النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: "إِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤمنينَ بِما أَمَرَ بِه المُرسَلينَ، فَقَال اللهُ تَعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [المؤمنون: ٥١] وَقالَ لِلْمُؤمنينَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ} [البقرة: ١٧٢] " (١)

فجعل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشكر لله هو العمل الصالح يعني: القيام بطاعة الله.
ويكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بالجوارح، أما بالقلب فهو شعور الإنسان بأن هذه النعمة من الله سبحانه وتعالى، وأنه لولا فضل الله ما حصلت له فيقر بقلبه، ويعترف أن ذلك من عند الله وليس بحوله وقوته.
وأما الشكر باللسان فالتحدث بنعمة الله عز وجل اعترافا بفضله لا افتخارا على خلقه، بأن يقول: الحمد لله قد رزقني الله أولادا ومالا وعلما وجاها وما أشبه ذلك، ومن الشكر باللسان جميع الطاعات القولية، فإنها من الشكر باللسان، فقراءة القرآن من الشكر؛ لأن كل طاعة باللسان فهي من شكر الله عز وجل.
والشكر بالجوارح العمل؛ كالركوع والسجود والقيام والقعود والصدقة وما إلى ذلك.

كتاب تفسير القرآن الكريم – محمد بن صالح العثيمين – سورة فصلت ص٣٢٠
(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، رقم (١٠١٥)

الشكر عبادة:

الشكر عبادة لله عز وجل، أمر الله بها {أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} [لقمان:١٤]، {وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة:١٥٢]، ولما أمر الله عز وجل به فهو عبادة عظيمة من العبادات التي يتقرب إلى الله عز وجل بها، والعبادات من الدين، والدين الخالص لله عز وجل {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر:٣]

فلا يجوز أن يقال لأحد: لك خالص شكري؛ لأنَّ خالص الشكر لله سبحانه وتعالى، أو لك خالص تحياتي، مع خالص تحياتي، أو خالص تقديري، هذه كلها لله عز وجل: خالص التحيات وخالص التقدير والقدر والتعظيم وخالص الرجاء، ومثل ما يقول: وفيك خالص رجائي، الرجاء والشكر، ومثل هذه الأشياء هي عبادة وخالصها لله عز وجل.

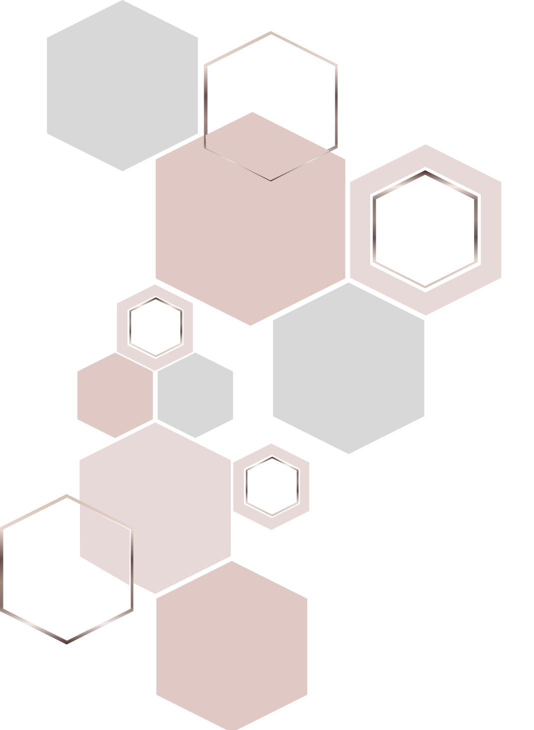
فلا يجوز أن يقول القائل مثل ما هو شائع في كثير من الرسائل والمكاتبات؛ وتقبل خالص شكري وتقدري؛ لأن هذا إنما هو لله عز وجل.

فالشكر الخالص لله، يقال للبشر: ولك عظيم شكري، أو يقال له: مع عظيم شكري لك، مع جزيل شكري ونحو ذلك، نعم يُشْكَرْ البشر على ما يقومون به من أنواع الخير، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يَشْكُرُ اللهَ مَن لا يَشْكُرُ الناسَ) (١) فالذي لا يشكر الناس لا يشكر الله عز وجل.

كتاب شرح العقيدة الطحاوية - إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل– صالح آل الشيخ – ص١٢٩

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١١)، وأحمد (٧٩٣٩) واللفظ لهما، والترمذي (١٩٥٤) باختلاف يسير.





الشكر عبادة:

قد يسدي البعض نعمًا على بعض عباد الله، فينسى المنعم الحقيقي الذي هو الله، ومن ثم تصرف عبادة الشكر لغيره، وهذا قدح في التوحيد.

ومما لا شك فيه أن الإسلام هو أكبر نعمة على العبد، فأكبر ما أنعم الله جل وعلا على عبده بعد أن خلقه وأوجده أن جعله مسلماً، فيجب أن يشكر الله جل وعلا على ذلك، وألا يضيف إلى المخلوق شيئاً أنعم الله جل وعلا به عليه، وإن كان ذلك المخلوق سبباً، ولا ينافي هذا أن الإنسان يحمد من حصل على يده خير له، بل قد جاء في الحديث: (لا يشكُرُ اللهَ مَن لا يشكُرُ النّاسَ.) (١)

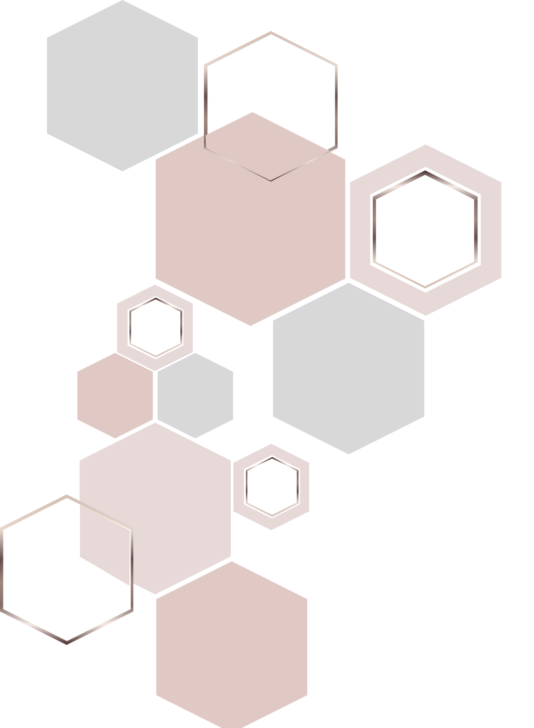
ولكن ليس معنى هذا أنه يضيف النعمة إليهم، بل معناه أنه يكافئهم، أو يدعو لهم إن لم يجد ما يكافئهم به، فهذا هو شكرهم، وليس شكرهم إضافة النعم إليهم وأنهم هم الذين صنعوها أو أوجدوها،

لهذا جاء الإرشاد إلى ذلك، قال صلى الله عليه وسلم: (من صنع إليكم معروفًا فكافِئوه، فإن لم تجدوا ما تُكافِئوه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأْتُموه) (٢) فجعل المكافأة أن يعطى مقابل المعروف، فإن لم يكن الإنسان في يده شيء من ذلك فإنه يدعو له، والدعاء يكون مكافأة له.

كتاب شرح فتح المجيد - عبد الله بن محمد الغنيمان – ج١٠٥ ص٤

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٤٠٧)

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٠٩)، والنسائي (٢٥٦٧)، وأحمد (٥٣٦٥) باختلاف يسير.

سجود الشكر:

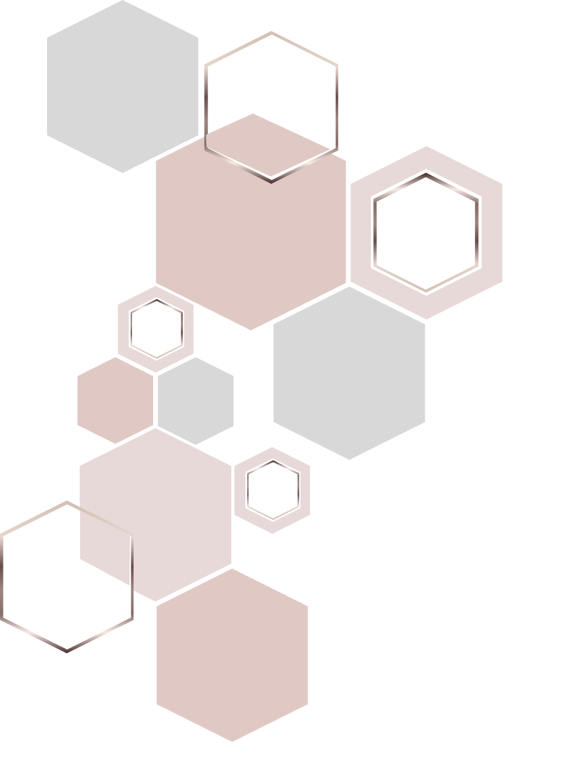
يكون سجود الشكر عن مصيبة اندفعت، أو لنعمة تهيأت للإنسان، وهو كالتلاوة خارج الصلاة، فبعض العلماء يرى له الوضوء والتكبير، وبعضهم يرى التكبيرة الأولى فقط ثم يخر ساجدا ويدعو بعد قوله: "سبحان ربي الأعلى". (١)

سجدة الشكر واحدة، ولا يشترط لها أي شيء مما يشترط للصلاة، فهي كسجود التلاوة، هما في الحكم سواء، لا يشترط لأي منهما أي شرط كالطهارة، واستقبال القبلة، والتكبير والتسليم، ونحو ذلك، وإنما إذا فوجئ بنعمة سجد فورا كما هو، وحمد الله بما تيسر له على ما أولاه من تلك النعمة شكرا له، كذلك إذا تلى آية من كتاب الله عز وجل فيها سجدة سجد فورا، سواء كان على وضوء أو على غير وضوء، سواء كان مستقبلا القبلة أو غير مستقبل القبلة، دون تكبيرة إحرام، ودون تشهد وسلام. (٢)

---

(١) كتاب مجموع فتاوى ورسائل العثيمين – محمد بن صالح العثيمين – ج١٤ ص٣٢٠
(٢) كتاب جامع تراث العلامة الألباني في الفقه - ناصر الدين الألباني – سلسلة الهدى والنور/ ٩٧





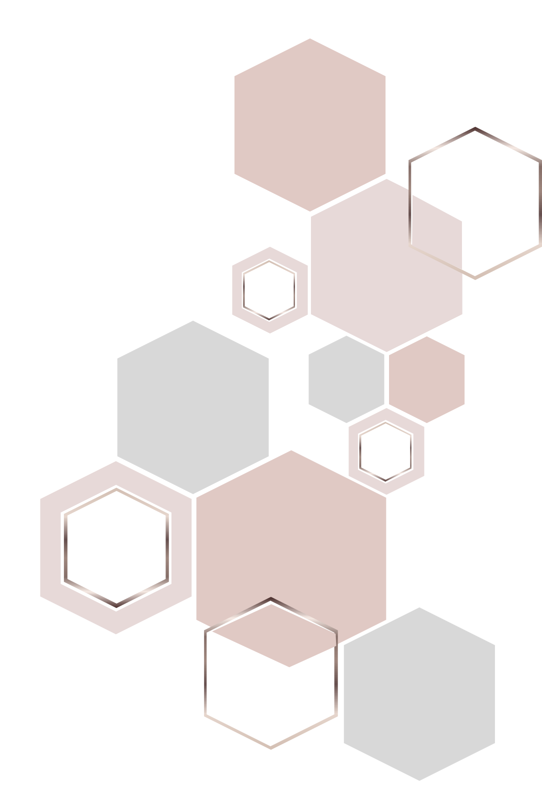
إذا كانَ شُكري نِعمَــةَ اللَهِ نِعمَة ... عَلَيَّ لَهُ في مِثلِها يَجِبُ الشُكرُ

فَكَيـفَ بلوغُ الشُكرِ إِلّا بِفَضلِهِ ... وَإِن طالَتِ الأَيّامُ وَاِتَّصَلَ العُمرُ

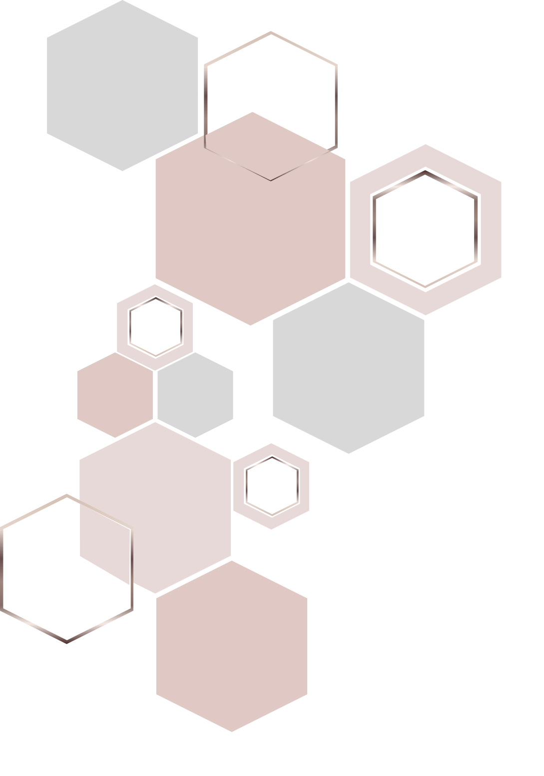
إِذا مُسَّ بِالسَرّاءِ عَــــمَّ سُرورُها ... إِن مُسَّ بِالضَرّاءِ أَعقَبَها الأَجرُ

وَما مِنهُـــــما إِلا لَهُ فيهِ نِعمــَةٌ ... تَضيقُ بِها الأَوهامُ وَالبِرُّ وَالبَحرُ

محمود الوراق

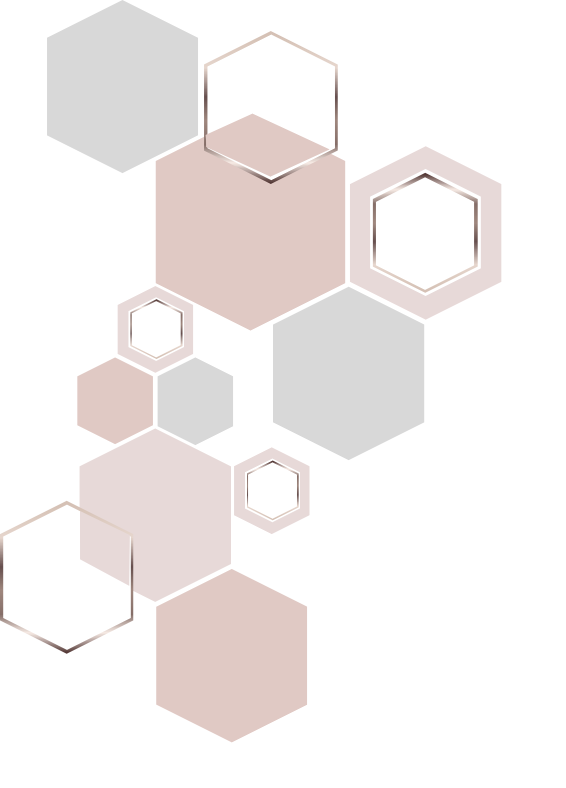






ثالثًا:

عبادة الرضا

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [البقرة: ٢٠٧]

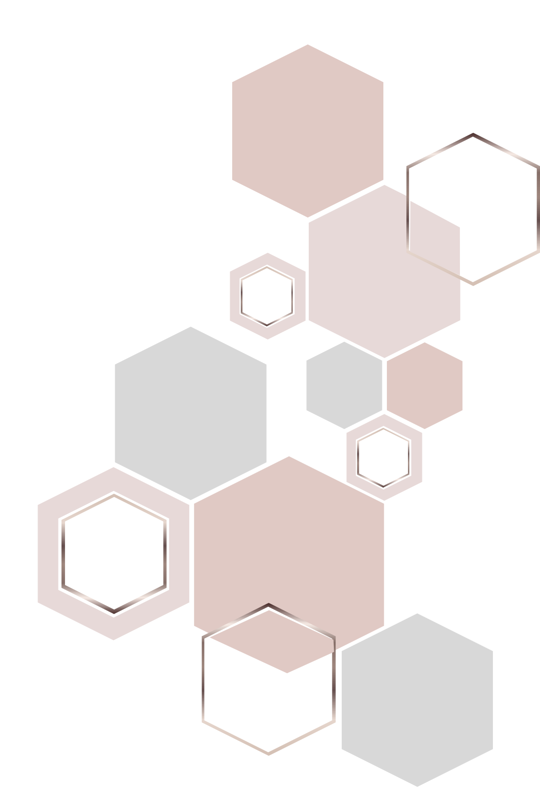
{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [التوبة:١٠٠]

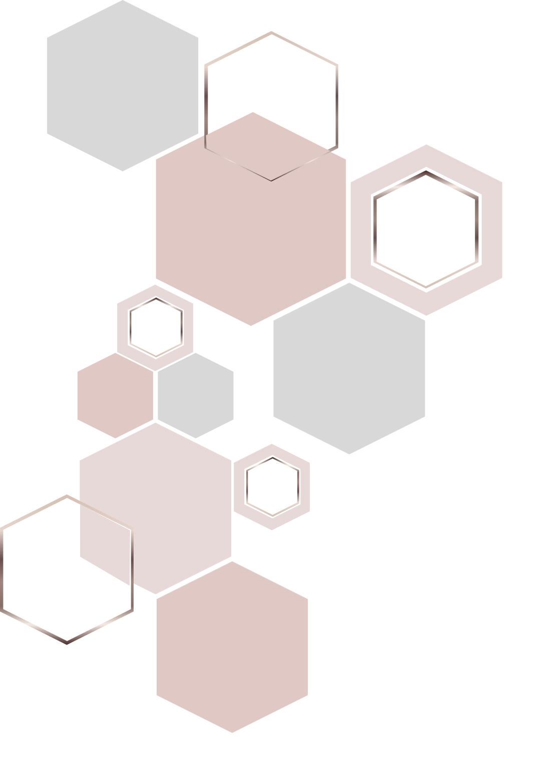
{وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} [مريم:٥٥]

{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}[مريم:٦]

{أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [آل عمران:١٦٢]

{فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧)} [القارعة:٦-٧]





مفهوم الرضا لغة واصطلاحًا:

(رَضِيَ) الراء والضاد والحرف المعتل أصل واحد يدل على خلاف السخط. تقول رضي يرضى رضى. وهو راض، ومفعوله مرضي عنه. ويقال إن أصله الواو؛ لأنه يقال منه رضوان. (١)

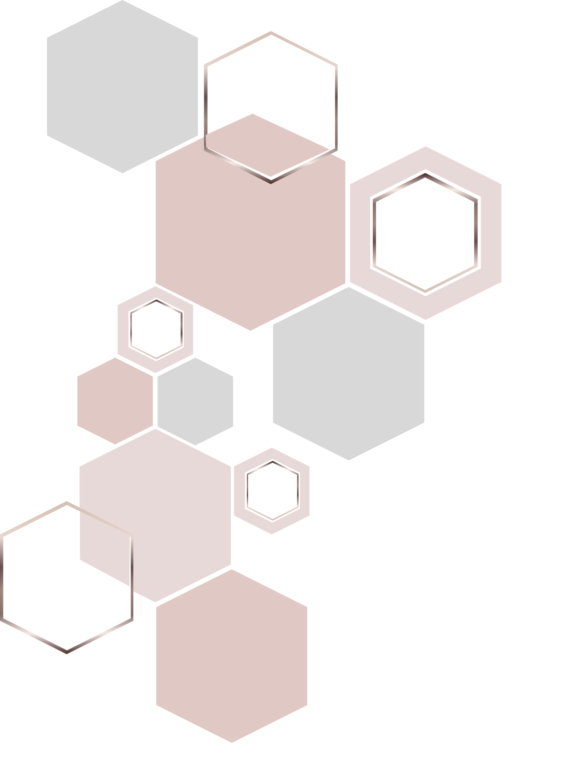
يقال: رضي يرضى رضا، فهو مرضي ومرضو.
ورضا العبد عن الله: أن لا يكره ما يجري به قضاؤه،
ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرا لأمره، ومنتهيا عن نهيه.(٢)

الرضى: طيب النفس بما يصيبه ويفوته مع عدم التغير. (٣)

---

(١) كتاب مقاييس اللغة – ابن فارس – ج٢ ص٤٠٢
(٢) كتاب المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهاني - ص٣٥٦
(٣) كتاب التوقيف على مهمات التعاريف - عبد الرؤوف المناوي – ص١٧٨





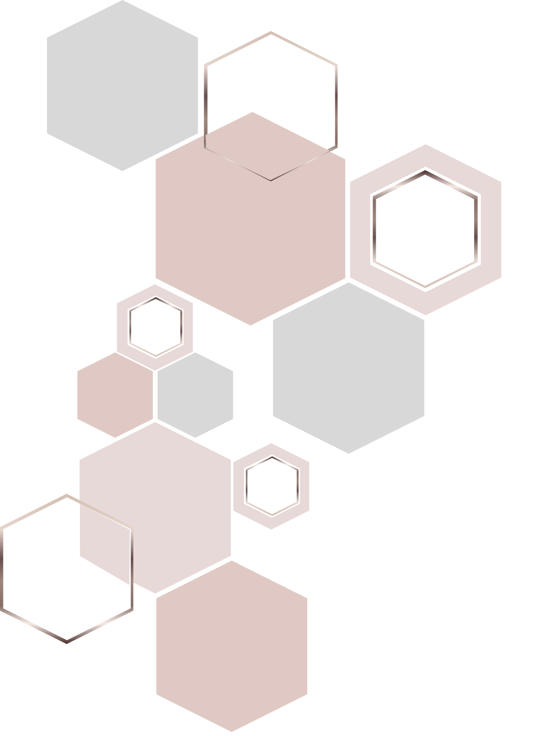
قَالَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم:

"ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِيَ باللَّهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسولًا"

أخرجه الترمذي (٢٦٢٣) واللفظ له، وأخرجه مسلم (٣٤)

"من قالَ حينَ يسمعُ المؤذِّنَ وأنا أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ رضيتُ باللَّهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمَّدٍ نبيًّا غفرَ لَهُ ذنبُهُ"

أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦٩٣) إسناده صحيح على شرط مسلم



مقامات الرضا:

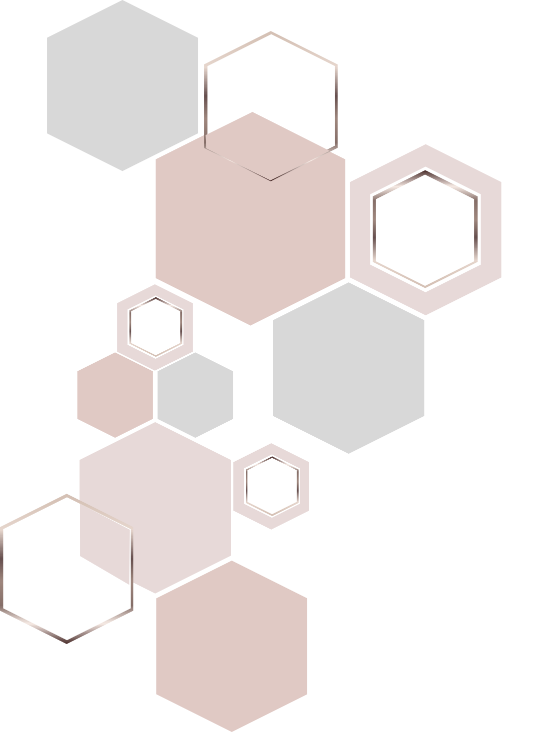
الرضا بألوهيته: يتضمن الرضا بمحبته وحده وخوفه ورجائه والإنابة إليه والتبتل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه. وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له.

والرضا بربوبيته: يتضمن الرضا بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه والاستعانة به والثقة به وأن يكون راضيا بكل ما يفعل به. فالأول: يتضمن رضاه بما يؤمر به. والثاني: يتضمن رضاه بما يقدر عليه.

وأما الرضا بنبيه رسولا: فيتضمن كمال الانقياد له. والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه. فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته. ولا يحاكم إلا إليه. ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره ألبتة. لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله. ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته. ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه.

وأما الرضا بدينه: فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى رضي كل الرضا. ولم يبق في قلبه حرج من حكمه. وسلم له تسليما. ولو كان مخالفا لمراد نفسه أو هواها، أو قول مقلده وشيخه وطائفته.

كتاب مدارج السالكين – ابن القيم – ج٢ ص ١٧١



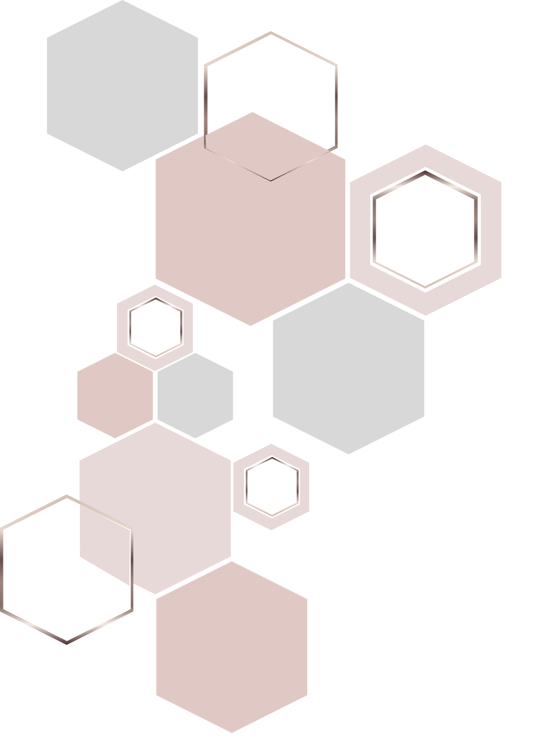
الرضا نوعان: :

أحدهما: الرضا بفعل ما أمر به وترك ما نهي عنه.

ويتناول ما أباحه الله من غير تعد إلى المحظور كما قال: {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ} [التوبة:٦٢]
وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} [التوبة:٥٩]
وهذا الرضا واجب؛ ولهذا ذم من تركه بقوله: {وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (٥٩)} [التوبة:٥٨-٥٩].

والنوع الثاني: الرضا بالمصائب؛ كالفقر والمرض والذل فهذا الرضا مستحب في أحد قولي العلماء وليس بواجب، وقد قيل: إنه واجب.
والصحيح أن الواجب هو الصبر. كما قال الحسن: الرضا غريزة ولكن الصبر معول المؤمن.

كتاب مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ج١٠ ص٦٨٢

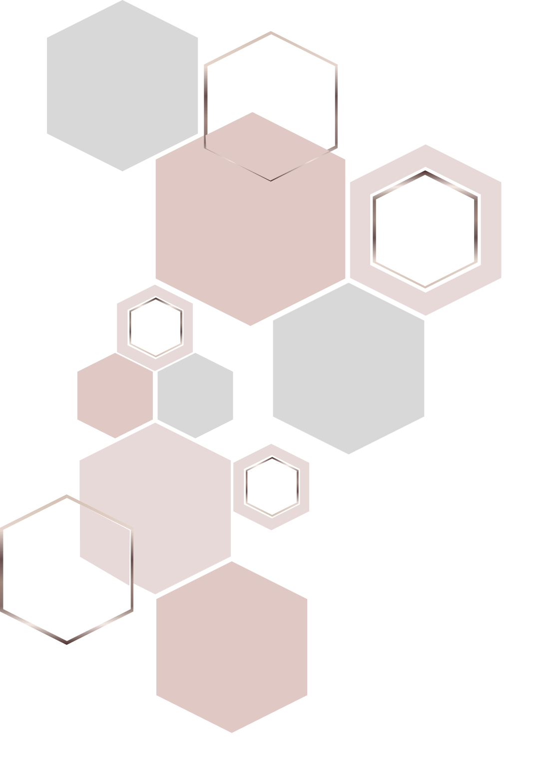
الرضا له جهتان:

الجهة الأولى: راجعة إلى فعل الله - جل وعلا -، فيرضى بقدر الله الذي هو فعله، ويرضى بفعل الله، ويرضى بحكمة الله، ويرضى بما قسم الله - جل وعلا -، وهذا الرضا بفعل الله - جل وعلا - واجب من الواجبات، وتركه محرم ومناف لكمال التوحيد.

والجهة الثانية: الرضا بالمقضي، أي بالمصيبة في نفسها، فهذا مستحب، ليس واجبا على العباد أن يرضوا بالمرض، وأن يرضوا بفقد الولد، وأن يرضوا بفقد المال، لكن هذا مستحب وهو رتبة الخاصة من عباد الله، لكن الرضا بفعل الله - جل وعلا - بمعنى الرضا بقضاء الله من حيث هو واجب، أما الرضا بالمقضي فإنه مستحب.
ولهذا قال علقمة هنا: " هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى " يعني: على قضاء الله " ويسلم " لعلمه أنها من عند الله - جل جلاله -، وهذا من خصال الإيمان.

كتاب التمهيد لشرح كتاب التوحيد – صالح آل الشيخ – ص٣٩٣





الرضا له جهتان:

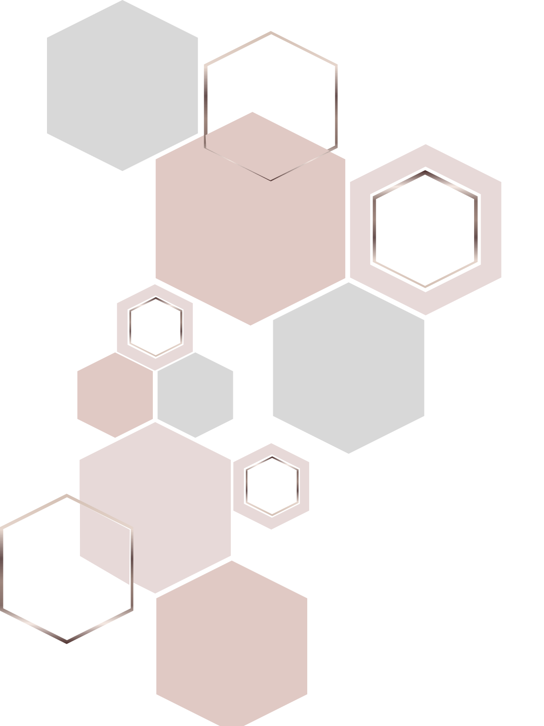
يلزمنا الرضا بكل ما قضاه الله وقدره، ولا يلزمنا الرضا بكل مقضي ومخلوق ومقدر وجوده في العالم،

بل نسخط المعاصي ولو كانت قضاء وقدراً، وننكر على من فعلها ونلومه، وإذا احتج بالقدر لم يمنعنا ذلك من أخذ الحق منه،

كما ذكر أن عمر رضي الله عنه لما رفع إليه سارق وأمر بقطع يده فقال: هذا قدر الله، فقال: (سرقت بقدر الله ونقطع يدك بقدر الله)،

فهو بذلك يعرف أن هذا مأمور به، فنحن مأمورون بكذا وأنت فعلت كذا وكذا.

كتاب شرح العقيدة الطحاوية – عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين – ج ٢٩ ص٢٣

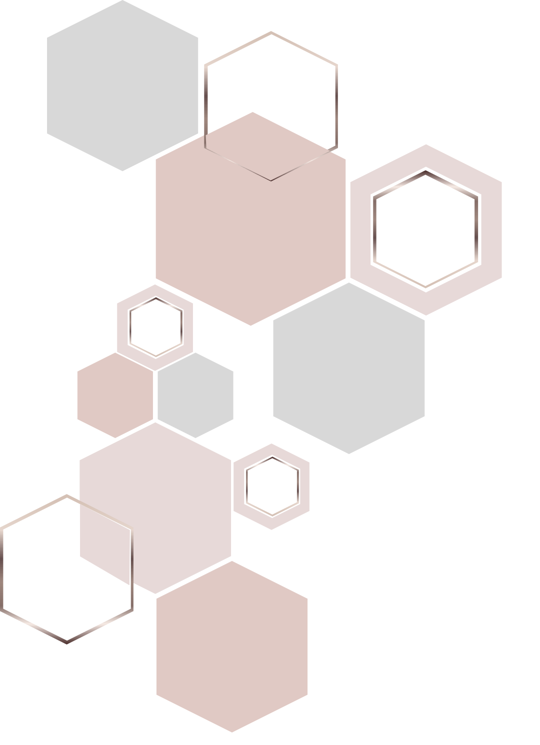



المقضي نوعان:

الأول: مقضي شرعا. والثاني: مقضي كونا.
فالمقضي شرعا: يجب علينا أن نرضى به، مثل أن قضى الله علينا بوجوب الصلاة، فيجب أن نؤمن بهذا القضاء، وأن نسلم لوجوب الصلاة، ومثل: أن قضى الله بتحريم الزنى، فيجب علينا أن نؤمن بهذا المقضي، وأن الزنى محرم، ومثل أن قضى الله بحل البيع فيجب علينا أن نرضى بذلك وأن نؤمن بأن البيع حلال، ومثل: أن قضى الله بتحريم الربا، فيجب علينا أن نؤمن بهذا، وأن نستسلم لتحريم الربا. فالخط العريض لهذا المسألة أن القضاء الشرعي يجب الرضا به، والتسليم به، لأن: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة:٤٤].
وأما الثاني فهو القضاء الكوني: أي ما يقضي به الله كونا - فإن كان محبوبا للنفس ملائما للطبع فالرضا به من طبيعة الإنسان وفطرته، كما لو قضى الله سبحانه وتعالى للإنسان بعلم فإنه يرضى به، وكذلك لو قضى الله سبحانه للإنسان بمال فإنه يرضى به، وكذلك لو قضى بولد فإنه يرضى به.
وإما أن يكون المقضي كونا غير ملائم للإنسان، ولا موافق لطبيعته مثل المرض، الفقر، الجهل، فقدان الأولاد، أو ما أشبه ذلك، فهذا اختلف العلماء فيه: فمنهم من قال: يجب الرضا، ومنهم من قال: يستحب الرضا، والصحيح: أن الرضا به مستحب.

كتاب مجموع فتاوى ورسائل العثيمين – محمد بن صالح العثيمين – ج٣ ص ٢٠٣



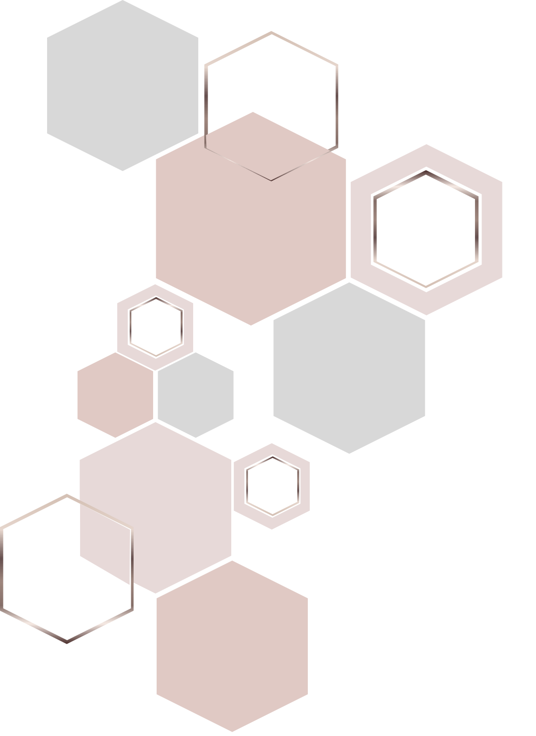


المقضي نوعان:

الحكم والقضاء نوعان: ديني، وكوني.
فالديني يجب الرضا به، وهو من لوازم الإسلام. والكوني منه ما يجب الرضا به، كالنعم التي يجب شكرها، ومن تمام شكرها الرضا بها، ومنه ما لا يجوز الرضا به، كالمعايب والذنوب التي يسخطها الله، وإن كانت بقضائه وقدره، ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب، وفي وجوبه قولان، هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضي.
وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله، كعلمه وكتابه وتقديره ومشيئته، فالرضا به من تمام الرضا بالله ربا وإلها ومالكا ومدبرا، فبهذا التفصيل يتبين الصواب، ويزول اللبس في هذه المسألة العظيمة التي هي مفرق طرق بين الناس.

فإن قيل: فكيف يجتمع الرضا بالقضاء بالمصائب مع شدة الكراهة والنفرة منها؟ وكيف يكلف العبد أن يرضى بما هو مؤلم له، وهو كاره له، والألم يقتضي الكراهة والبغض المضاد للرضا واجتماع الضدين محال؟
قيل: الشيء قد يكون محبوبا مرضيا من جهة، ومكروها من جهة أخرى، كشرب الدواء النافع الكريه، فإن المريض يرضى به مع شدة كراهته له، وكصوم اليوم الشديد الحر، فإن الصائم يرضى به مع شدة كراهته له، وكالجهاد للأعداء؛ قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [البقرة: ٢١٦] .

كتاب شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل – ابن القيم – ص ٢٧٨



حكم الرضا:

الرضا بالقدر واجب؛ لأنه من تمام الرضا بربوبية الله، فيجب على كل مؤمن أن يرضى بقضاء الله، ولكن المقضي هو الذي فيه التفصيل فالمقضي غير القضاء؛ لأن القضاء فعل الله، والمقضي مفعول الله، فالقضاء الذي هو فعل الله يجب أن نرضى به، ولا يجوز أبدا أن نسخطه بأي حال من الأحوال.

وأما المقضي فعلى أقسام:

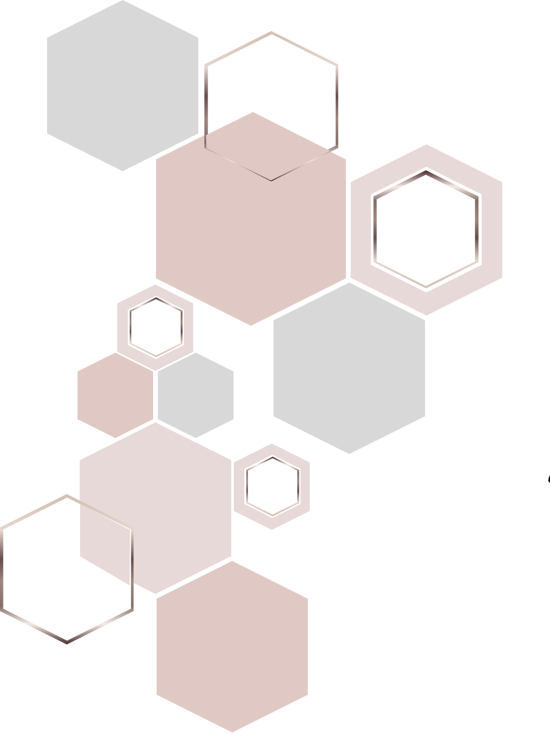
القسم الأول: ما يجب الرضا به. القسم الثاني: ما يحرم الرضا به. القسم الثالث: ما يستحب الرضا به.

فمثلا المعاصي من مقضيات الله، ويحرم الرضا بالمعاصي، وإن كانت واقعة بقضاء الله، فمن نظر إلى المعاصي من حيث القضاء الذي هو فعل الله يجب أن يرضى، وأن يقول: إن الله تعالى حكيم، ولولا أن حكمته اقتضت هذا ما وقع، وأما من حيث المقضي وهو معصية الله فيجب ألا ترضى به، والواجب أن تسعى لإزالة هذه المعصية منك أو من غيرك.

وقسم من المقضي يجب الرضا به مثل الواجب شرعا؛ لأن الله حكم به كونا، وحكم به شرعا، فيجب الرضا به من حيث القضاء ومن حيث المقضي.

وقسم ثالث: يستحب الرضا به، ويجب الصبر عليه، وهو ما يقع من المصائب، فما يقع من المصائب يستحب الرضا به عند أكثر أهل العلم ولا يجب، لكن يجب الصبر عليه.

كتاب مجموع فتاوى ورسائل العثيمين – محمد بن صالح العثيمين – ج٢ ص ٩٢

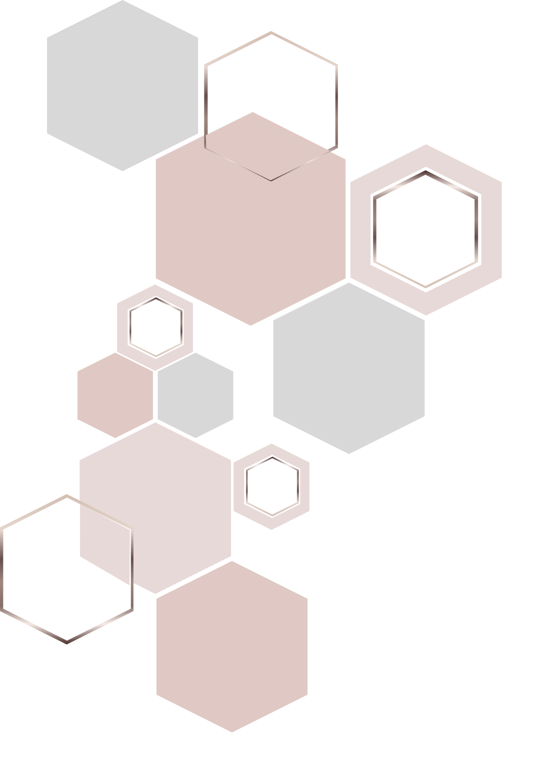


إذا قال قائل: ما تقولون في الرضا بالنسبة لما يفعله الإنسان من الأمور الشرعية كما لو زنى إنسان، أو سرق، فهل ترضون بزناه وسرقته؟

فالجواب: أن فيها نظرين: الأول باعتبار أن الله قدرها وأوجدها، فهي من هذه الناحية قضاء كوني يجب علينا أن نرضى به، فلا نقول: لماذا جعل الله الزاني يزني، وجعل السارق يسرق، فليس لنا أن نعترض.

أما بالنسبة لفعل العبد لها فلا نرضى، ولهذا فإننا نقيم عليه الحد قال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور:٢].
وفي السارق قال الله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة:٣٨].
ومعلوم أن جلدهما، وقطع يد السارق والسارقة غير رضا، فلو كان رضا ما كنا تعرضنا لهم بالعقوبة.

كتاب مجموع فتاوى ورسائل العثيمين – محمد بن صالح العثيمين – ج٣ ص ٢٠٦



حكم الرضا:

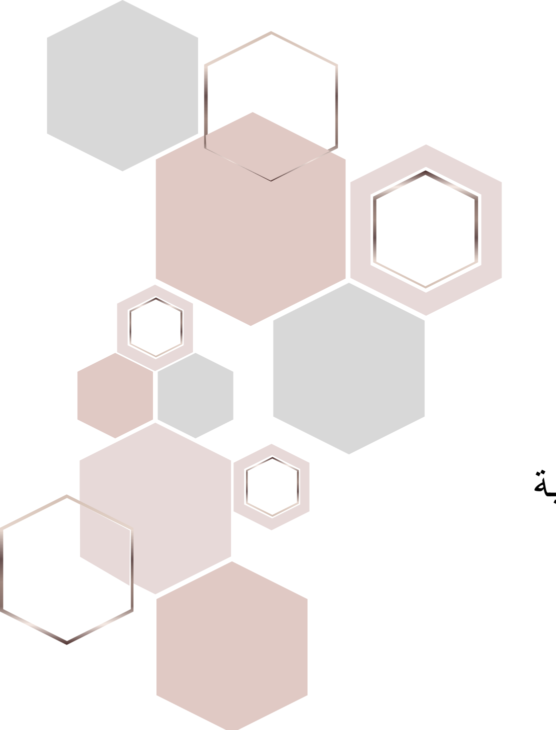
الرضا بالمصائب والتسليم بذلك شأن المؤمن.

وليس شأن المؤمن أن يلطم وجهه أو يقول قولاً لا يرضي الله، أو يتسخط قلبه،

وليس الحزن والبكاء داخلاً في هذا، فإن البكاء قد لا يملكه، وحزن القلب قد لا يملكه الإنسان فهو غير ملوم عليه، بل قد يثاب على دموع عينه، وكذلك حزن قلبه يثاب عليه، ولكن الذي يعاقب عليه هو الصوت والندب والتسخط، والأفعال التي تدل على الاعتراض والتسخط والتوجع من هذا الشيء.

كتاب شرح فتح المجيد - عبد الله بن محمد الغنيمان – ج٩٣ ص٣





حكم الرضا:

الرضا أعلى مقام الصبر، لكن الصبر اتفقوا على وجوبه، والرضا اختلفوا في وجوبه، والشكر أعلى من مقام الرضا، فإنه يشهد المصيبة نعمة، والمحنة منحة فيشكر المبلي عليها.

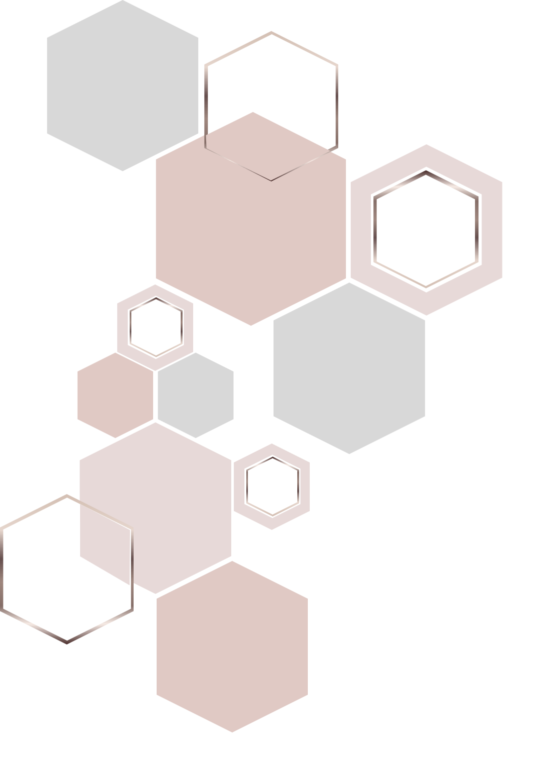
قال عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ: أما الرضا فمنزلة عزيزة أو منيعة، ولكن قد جعل الله في الصبر معولا حسنا.

فإن قيل: غالب الناس يصبرون ولا يرضون، فكيف يتصور الرضا بالمكروه؟

فالجواب أن نفور الطبع عن المكروه لا ينافي رضا القلب بالمقدور، فإنا نرضى عن الله ونرضى بقضائه وإن كرهنا المقضي.

كتاب غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب – محمد بن أحمد السفاريني – ج٢ ص ٢٧٩





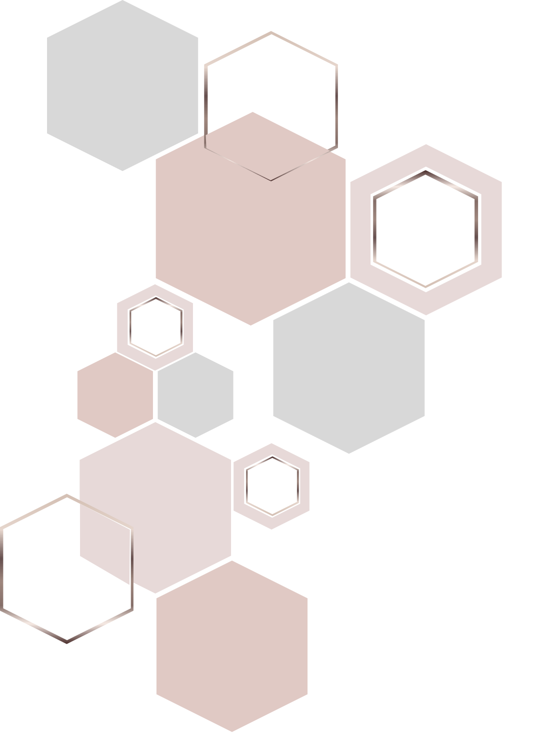
مرّ القضاء:

مر القضاء: هو ما لا يلائم طبيعة الإنسان، ولهذا عبر عنه بـ " المر ".
فإذا قضى الله قضاء لا يلائم طبيعة البشر، وتأذى به، سمي ذلك مرّ.

واعلم أن مر القضاء لنا فيه نظران :
النظر الأول: باعتباره فعلا واقعا من الله.
والنظر الثاني: باعتباره مفعولا له.

فباعتبار كونه فعلا من الله يجب علينا أن نرضى به، ألا نعترض على ربنا به، لأن هذا من تمام الرضى بالله ربا.
وأما باعتباره مفعولا له فهذا يسن الرضى به، ويجب الصبر عليه.
فالمرض باعتبار كون الله قدره الرضى به واجب، وباعتبار المرض نفسه يسن الرضى به.
وأما الصبر عليه فهو واجب، والشكر عليه مستحب.

كتاب مجموع فتاوى ورسائل العثيمين – محمد بن صالح العثيمين – ج٨ ص ٦٦٧



الرضا عبادة:

قال صلى الله عليه وسلم: «إنّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإنّ اللهَ تعالى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضيَ فله الرضا، ومن سخطَ فله السُّخْطُ» (١)

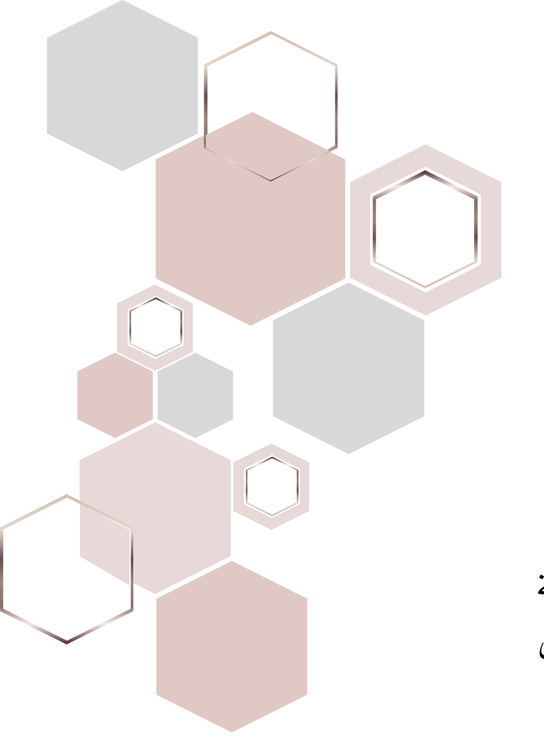
دل قوله: " من رضي فله الرضا " على أن الرضا عبادة؛ لأن رضا الله عن العبد إذا رضي عنه دال على أن ذلك الفعل محبوب له، وذلك دليل أنه من العبادات، وكذلك الجملة الثانية دليل على أن السخط محرم، قال: " ومن سخط فله السخط " يعني: من الله جل وعلا.

وحقيقة السخط على الله جل وعلا: أن يقوم في قلبه عدم محبة ذلك الشيء، وكراهته، وعدم الرضا به، واتهام الحكمة فيه، فمن قامت به هذه الأشياء مجتمعة فقد سخط.

ويظهر أثر السخط على اللسان أو على الجوارح، أو في القلب من جهة عدم الرضا بالأوامر، وعدم الرضا بالنواهي، وعدم الرضا بالشرع، فيتسخط الأمر ويتسخط النهي ويتسخط الشرع، فهذا كبيرة من الكبائر، ولو امتثل ذلك فإن تسخطه وعدم الرضا بذلك قلبا دليل على انتفاء كمال التوحيد في قلبه، وقد يصل بالبعض إلى انتفاء التوحيد من أصله إذا لم يرض بأصل الشرع وسخطه بقلبه، واتهم الشرع أو اتهم الله جل وعلا في حكمه الشرعي.

كتاب التمهيد لشرح كتاب التوحيد – صالح آل الشيخ – ص٣٩٦

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) باختلاف يسير، وابن ماجه (٤٠٣١) مختصرًا



من رضي فله الرضا :

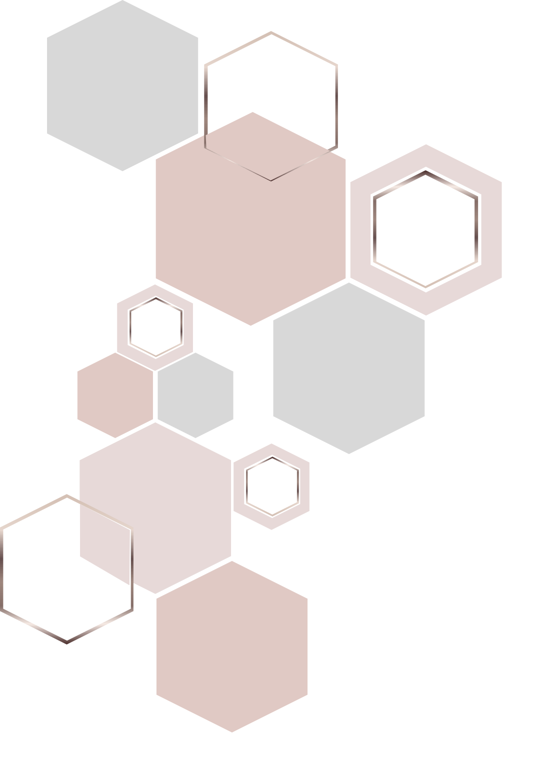
ارض أنت بقسمه لك فإنه حكيم عليم، والحكيم يضع الأشياء في مواضعها.

فمن عباده من لم يصلحه إلا الفقر ولو أغناه لفسد عليه دينه، ومنهم من لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقره لفسد عليه دينه، وكذلك الصحة والسقم ونفوذ الكلمة وعدمه وغير ذلك، فمهما قسمه لك من ذلك فكن به راضيا مطمئنا لا ساخطا ولا متلونا، فإنه جل شأنه أشفق من الوالدة على ولدها.

ومن تمام حكمته وبديع قدرته أن جعل عباده ما بين غني وفقير، وجليل وحقير، وصغير وكبير، ومستأجر وأجير، ذلك تقدير العليم الخبير، فإن سخطت شيئا من أقداره أهلكت نفسك وقطعتها حسرات على الدنيا، ولم تنل منها إلا ما قسمه لك جل شأنه، وإن ترض بقسمته لك من جميع الأشياء تثب ثواب الراضين على ذلك، ويحصل لك الرضا الموعود به في قوله في الحديث «فمن رضيَ فله الرضا، ومن سخطَ فله السُّخْطُ» (١)

كتاب غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب – محمد بن أحمد السفاريني – ج٢ ص ٢٧٨

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) باختلاف يسير، وابن ماجه (٤٠٣١) مختصرًا



الرضا كسبي موهبي:

الرضا كسبي باعتبار سببه، موهبي باعتبار حقيقته.

فيمكن أن يقال بالكسب لأسبابه. فإذا تمكن في أسبابه وغرس شجرته اجتنى منها ثمرة الرضا.
فإن الرضا آخر التوكل؛ فمن رسخ قدمه في التوكل والتسليم والتفويض حصل له الرضا ولا بد.

ولكن لعزته وعدم إجابة أكثر النفوس له وصعوبته عليها لم يوجبه الله على خلقه؛ رحمة بهم، وتخفيفا عنهم، لكن ندبهم إليه، وأثنى على أهله، وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم، الذي هو أعظم وأكبر وأجل من الجنان وما فيها.

فمن رضي عن ربه رضي الله عنه، بل رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه؛ فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده: رضا قبله، أوجب له أن يرضى عنه، ورضا بعده. هو ثمرة رضاه عنه.

كتاب مدارج السالكين – ابن القيم – ج٢ ص ١٧٢

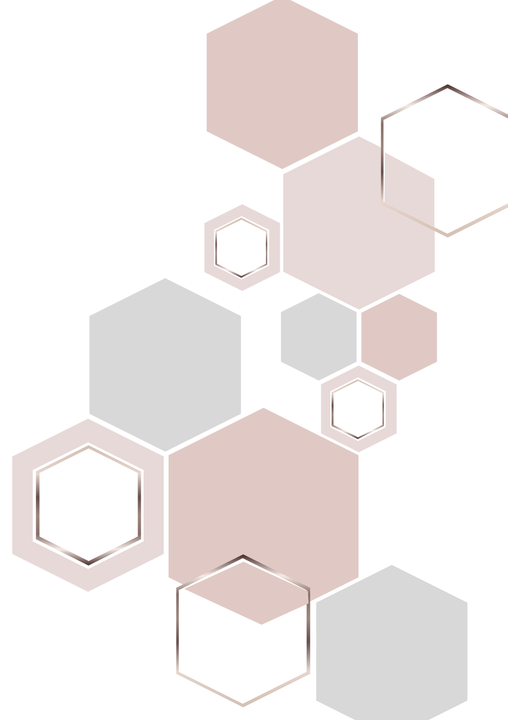


إنَّ اللهَ تبارَك وتعالى يقولُ : يا أهلَ الجنَّةِ فيقولونَ: لبَّيْكَ ربَّنا وسعدَيْكَ والخيرُ في يدَيْكَ فيقولُ:

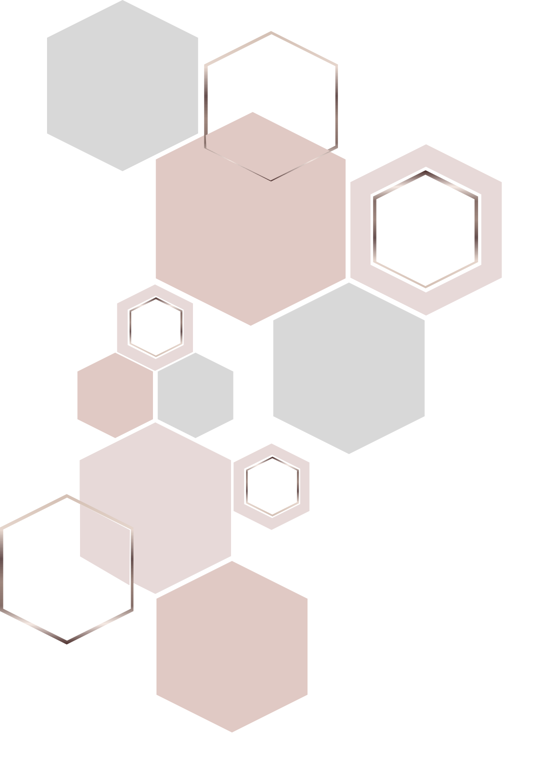
هل رضِيتُم ؟ فيقولونَ : ما لنا لا نرضى وقد أعطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحدًا مِن خَلْقِك فيقولُ:

ألا أُعطيكم أفضَلَ مِن ذلكَ فيقولونَ : يا ربِّ وأيُّ شيءٍ أفضَلُ مِن ذلكَ ؟ فيقولُ: أُحِلُّ عليكم رِضواني فلا أسخَطُ بعدَه أبدًا

الراوي : أبو سعيد الخدري | صحيح ابن حبان | الرقم : ٧٤٤٠

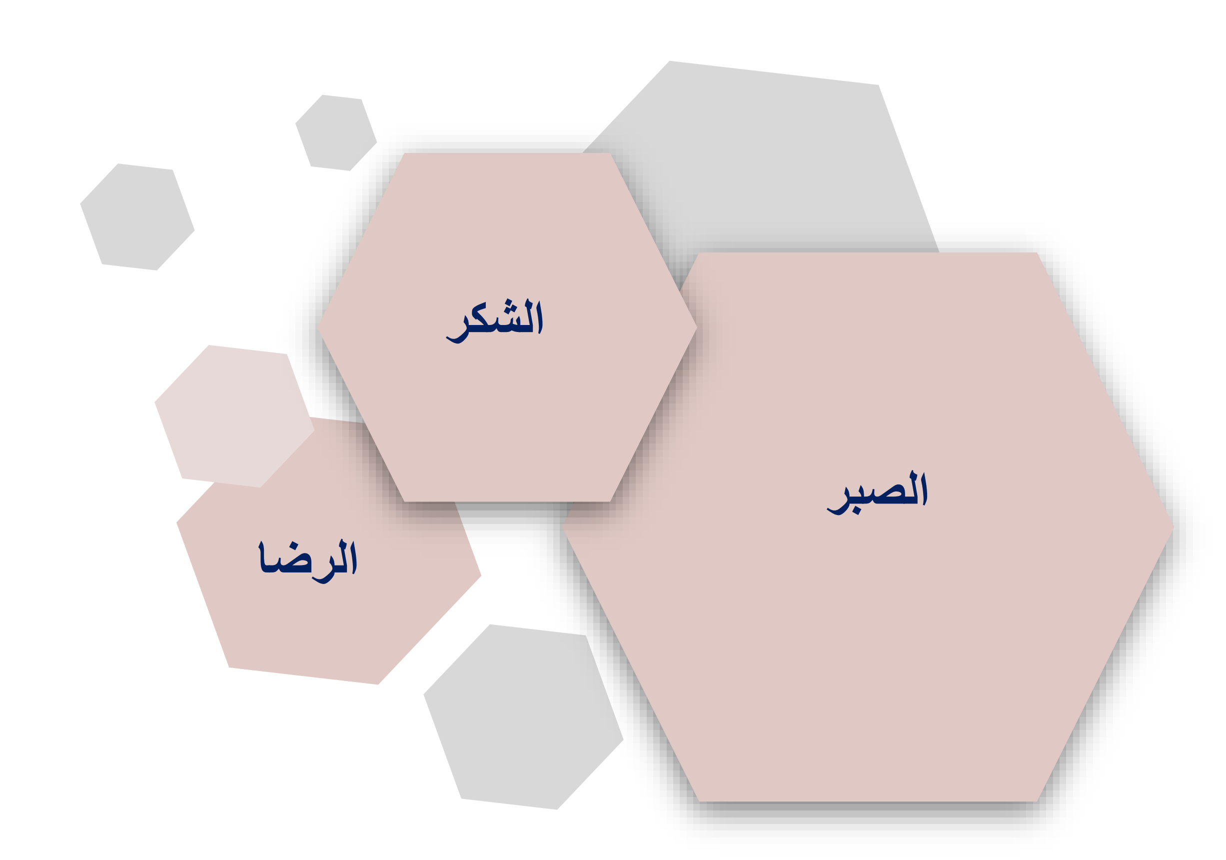


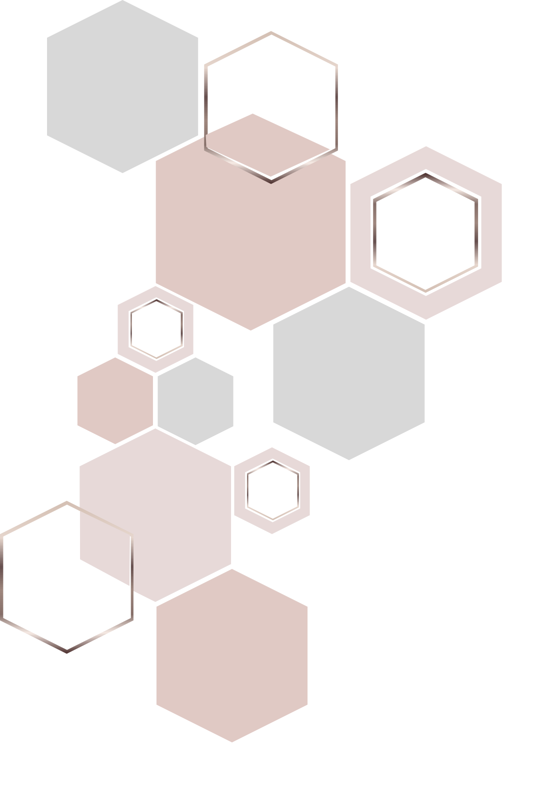




رابعًا:

مسائل وأحكام في ارتباط العبادات الثلاث ببعضها

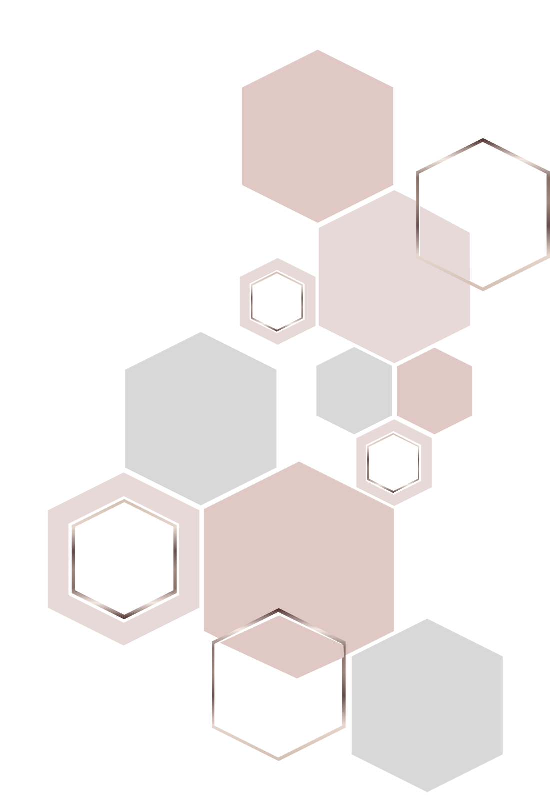

الشكر
الصبر
الرضا

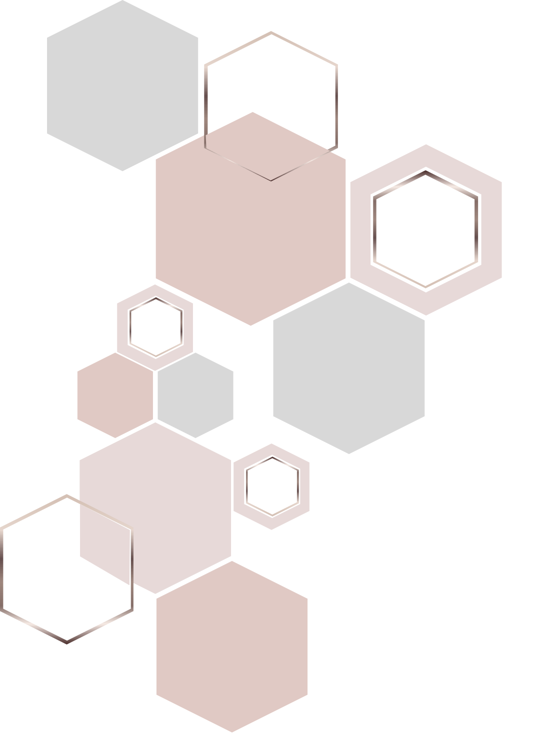


عنْ أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه قال : ولا أعْلَمُهُ إلّا عنِ النَّبيِّ ﷺ - قالَ:

"إنَّ للطّاعِمِ الشّاكرِ مِن الأَجْرِ مِثْلَ ما للصّائِمِ الصّابرِ"

الراوي: أبو هريرة • الحاكم، المستدرك على الصحيحين (٧٣٩٧)





المؤمن صبّار شكور

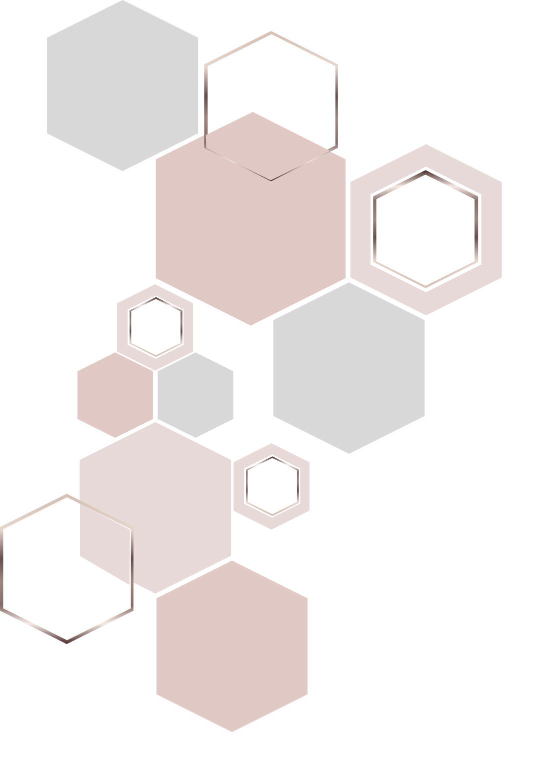
{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [لقمان:٣١]

الصبار: مبالغة في الموصوف بالصبر، والشكور كذلك، أي: الذين لا يفارقهم الوصفان. وهذان وصفان للمؤمنين الموحدين في الصبر للضراء والشكر للسراء إذ يرجون بهما رضى الله تعالى الذي لا يتوكلون إلا عليه في كشف الضر والزيادة من الخير.

وقد تخلقوا بذلك بما سمعوا من الترغيب في الوصفين والتحذير من ضديهما، فهم بين رجاء الثواب وخوف العقاب لأنهم آمنوا بالحياة الخالدة ذات الجزاء، وعلموا أن مصيرهم إلى الله الذي أمر ونهى، فصارا لهم خلقا تطبعوا عليه فلم يفارقاهم البتة أو إلا نادرًا.

كتاب التحرير والتنوير - محمد الطاهر ابن عاشور – ج٢١ ص١٨٩

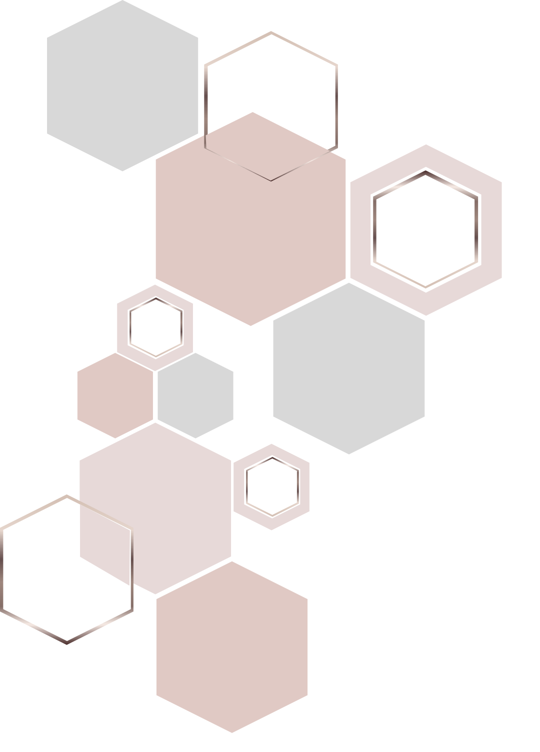


الإيمان صبرٌ وشكر

الإيمان ينبني على الصبر والشكر؛ فنصفه صبر ونصفه شكر؛ فعلى حسب صبر العبد وشكره تكون قوة إيمانه، وآيات الله إنما ينتفع بها من آمن بالله وآياته، ولا يتم له الإيمان إلا بالصبر والشكر؛ فإن رأس الشكر التوحيد، ورأس الصبر ترك إجابة داعي الهوى؛ فإذا كان مشركا متبعا هواه لم يكن صابرا ولا شكورا، فلا تكون الآيات نافعة له ولا مؤثرة فيه إيمانا.

كتاب الفوائد – ابن القيم – ج ١ ص ١٩١



الإيمان صبرٌ وشكر

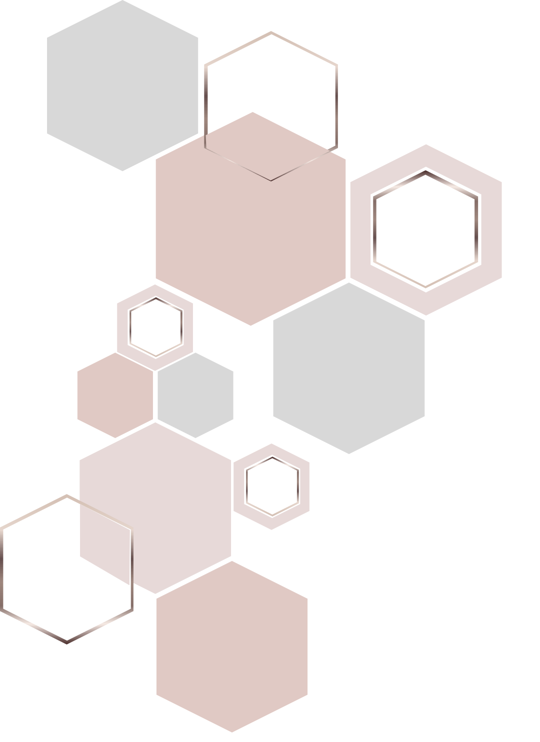
الإيمان يحمل صاحبه على الشكر في حالة السراء، والصبر في حالة الضراء، وكسب الخير في كل أوقاته، قال الله عز وجل:

{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)} [الحديد:٢٢-٢٣]

وقال عز وجل: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التغابن:١١].

ولو لم يكن من ثمرات الإيمان إلا أنه يسلي صاحبه عن المصائب والمكاره التي كل أحد عرضة لها في كل وقت، ومصاحبة الإيمان واليقين أعظم مسلٍ عنها.

كتاب عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة - سعيد بن وهف القحطاني - ج٢ ص٦٥٤

الإيمان صبرٌ وشكر

الإيمان يحمل صاحبه على الشكر في حالة السراء، والصبر في حالة الضراء، وكسب الخير في كل أوقاته.
كما ثبت في الصحيح، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له». (١)

والشكر والصبر هما جماع كل خير، فالمؤمن مغتنم للخيرات في كل أوقاته، رابح في كل حالاته.
وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: «ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ». (٢)

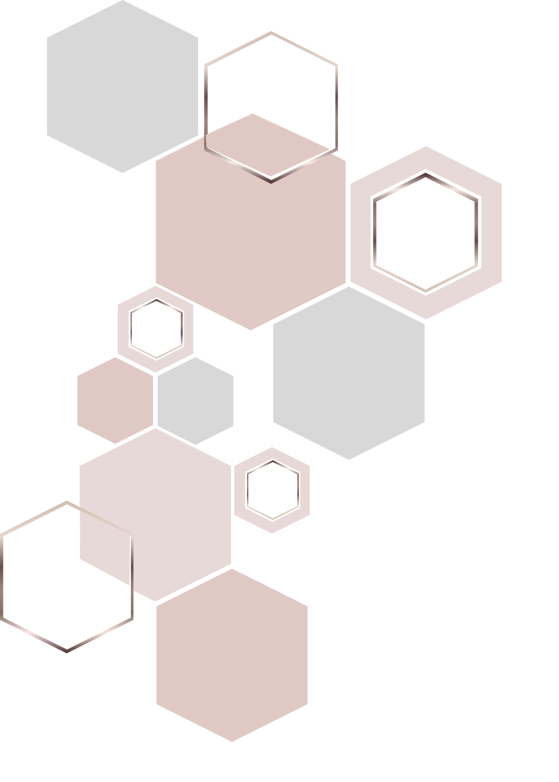
فيجتمع للمؤمن عند النعم والسراء نعمتان: نعمة حصول ذلك المحبوب، ونعمة التوفيق للشكر الذي هو أعلى من ذلك. وبذلك تتم عليه النعمة.
ويجتمع له عند الضراء، ثلاث نعم: نعمة تكفير السيئات، ونعمة حصول مرتبة الصبر التي هي أعلى من ذلك، ونعمة سهولة الضراء عليه؛ لأنه متى عرف حصول الأجر والثواب، والتمرن على الصبر، هانت عليه وطأة المصيبة، وخف عليه حملها.

كتاب التوضيح والبيان لشجرة الإيمان – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ص٩٦

(١) أخرجه أحمد (٢٣٩٣٠) مطولاً باختلاف يسير، وأخرجه مسلم (٢٩٩٩) بنحوه
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٥٧٣)



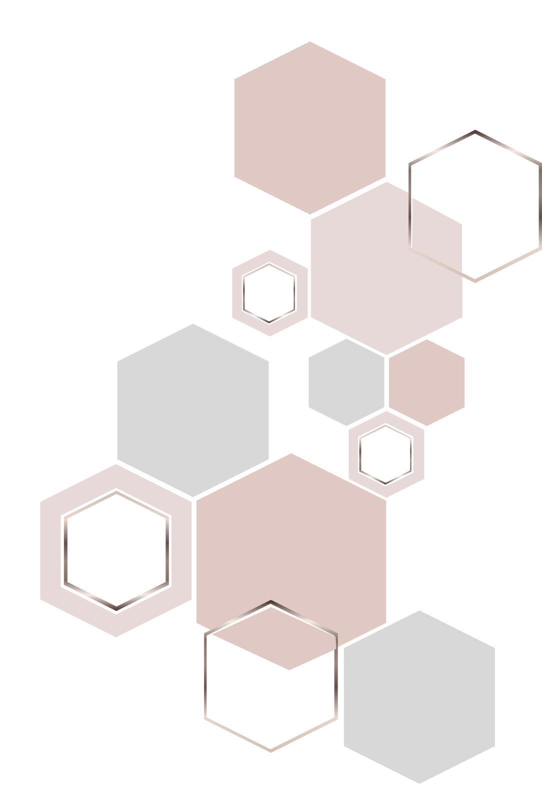


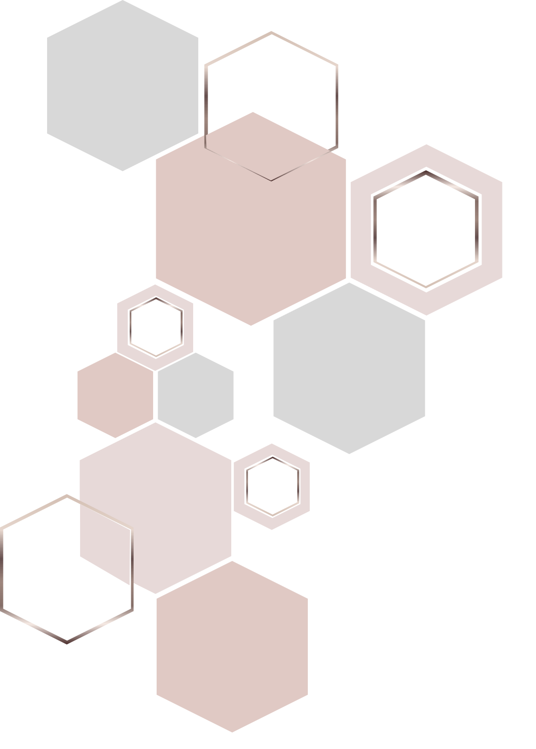


"عجِبتُ مِن قَضاءِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ لِلمُؤمِنِ! إنْ أصابَهُ خَيرٌ، حَمِدَ رَبَّهُ، وشكَرَ، وإنْ أصابَتْهُ مُصيبةٌ، حَمِدَ رَبَّهُ، وصبَرَ، المُؤمِنُ يُؤْجَرُ في كُلِّ شَيءٍ، حتى في اللُّقمةِ يَرفَعُها إلى في امرَأتِهِ"

الراوي: سعد بن أبي وقاص، تخريج المسند لشعيب (١٤٨٧) إسناده حسن

أخرجه أحمد (١٤٨٧) واللفظ له، وعبد بن حميد (١٣٩)، والبزار (١١٣٨)





السراء والضراء نعمة

ما يصيب الإنسان إن كان يسره: فهو نعمة بينة، وإن كان يسوءه فهو نعمة من جهة أنه يكفر خطاياه، ويثاب بالصبر عليه، ومن جهة أن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها {وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢١٦].

وقد قال في الحديث "والله لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ فَشَكَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ" (١). وإذا كان هذا وهذا: فكلاهما من نعم الله عليه، وكلتا النعمتين تحتاج مع الشكر إلى الصبر.

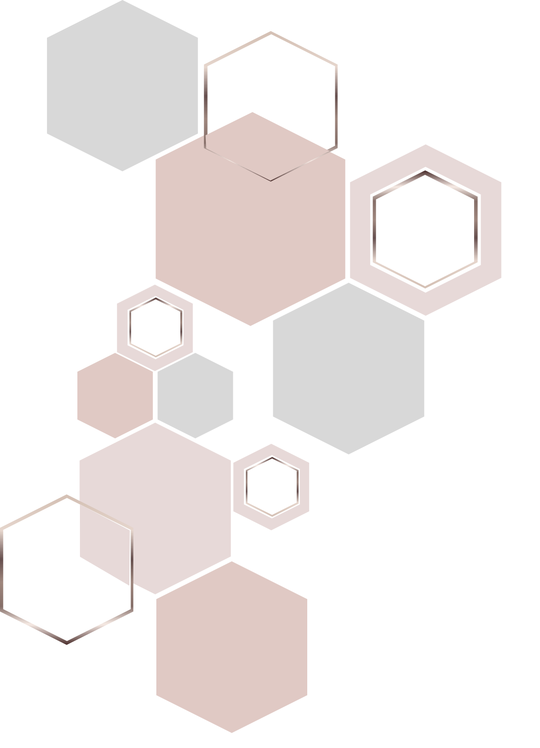
أما نعمة الضراء فاحتياجها إلى الصبر ظاهر، وأما نعمة السراء فتحتاج إلى الصبر على الطاعة فيها.

فإن فتنة السراء أعظم من فتنة الضراء.

ولأن صاحب السراء أحوج إلى الشكر، وصاحب الضراء أحوج إلى الصبر؛ فإن صبر هذا وشكر هذا واجب إذا تركه استحق العقاب، وأما صبر صاحب السراء فقد يكون مستحبا إذا كان عن فضول الشهوات، وقد يكون واجبا ولكن لإتيانه بالشكر الذي هو حسنات يغفر له ما يغفر من سيئاته. وكذلك صاحب الضراء لا يكون الشكر في حقه مستحبًا إذا كان شكرًا يصير به من السابقين المقربين، وقد يكون تقصيره في الشكر مما يغفر له لما يأتي به من الصبر.

كتاب مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ج١٤ ص ٣٠٤

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٩) بلفظ: "عجبا للمؤمن إن أمره كله خير"



اجتماع الصبر والشكر على وجه واحد:

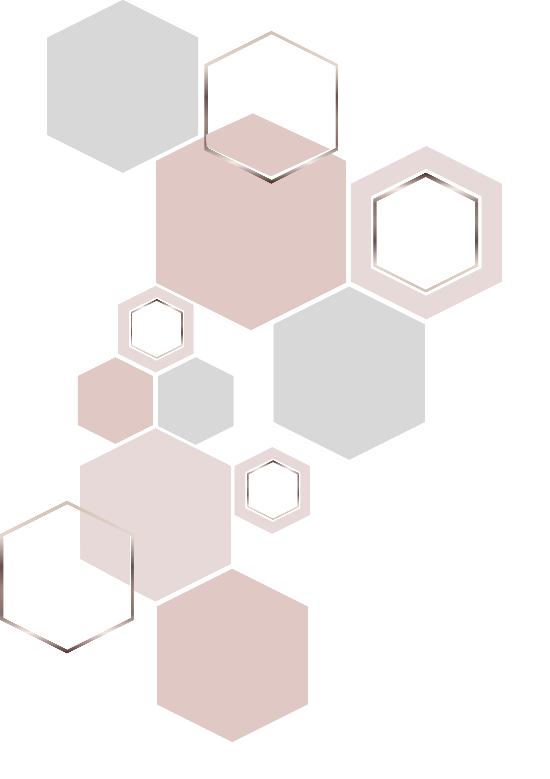
لعلك تقول: قد ذكرت أن الله تعالى في كل موجود نعمة، وهذا يشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلاً، فما معنى الصبر، وإن كان البلاء موجوداً، فما معنى الشكر على البلاء؟ وكيف يجتمع الصبر والشكر؟! فإن الصبر يستدعى ألماً والشكر يستدعى فرحاً، وهما متضادان.

فاعلم أن البلاء موجود، كما أن النعمة موجودة، وأنه ليس كل بلاء يأمر بالصبر عليه، مثل الكفر، فإنه بلاء، ولا معنى للصبر عليه، وكذا المعاصي، إلا أن الكافر لا يعلم أن كفره بلاء، فيكون كمن به علة، وهو لا يتألم بها، بسبب غشيته، والعاصي يعرف عصيانه، فعليه ترك المعصية.
وكل بلاء يقدر الإنسان على دفعه لا يأمن الصبر عليه، فلو ترك شرب الماء مع العطش حتى عظم ألمه، لم يأمر بالصبر على ذلك، بل يأمر بإزالة الألم، وإنما يكون الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته، فإذن يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس ببلاء مطلق، بل يجوز أن يكون نعمة من وجهه، فلذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة الشكر ووظيفة الصبر، فإن الغنى مثلاً يجوز أن يصير سبب هلاك الإنسان، حتى يقصد قتله بسبب ماله، والصحة أيضاً كذلك، فما من نعمة من نعم الدنيا إلا ويجوز أن تصير بلاء، وقد يكون على العبد في بعض الأمور بلاء وفيه نعمة.

كتاب مختصر منهاج القاصدين – نجم الدين المقدسي – ص٢٩١



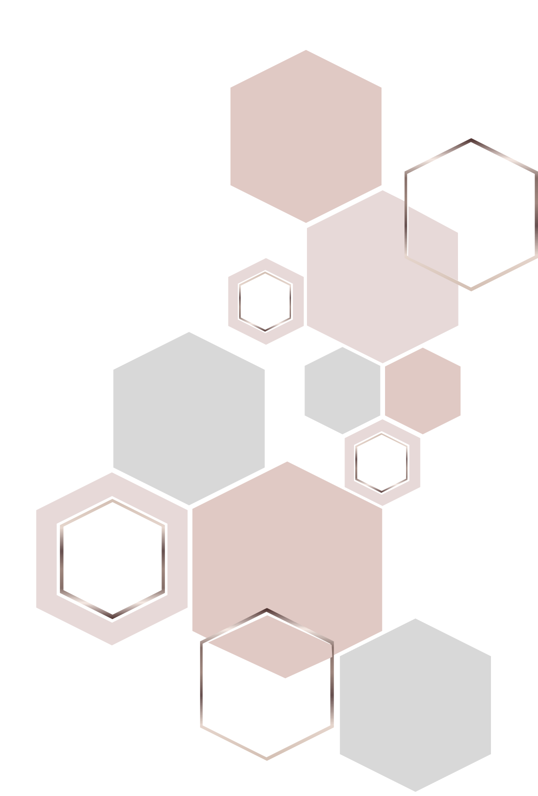


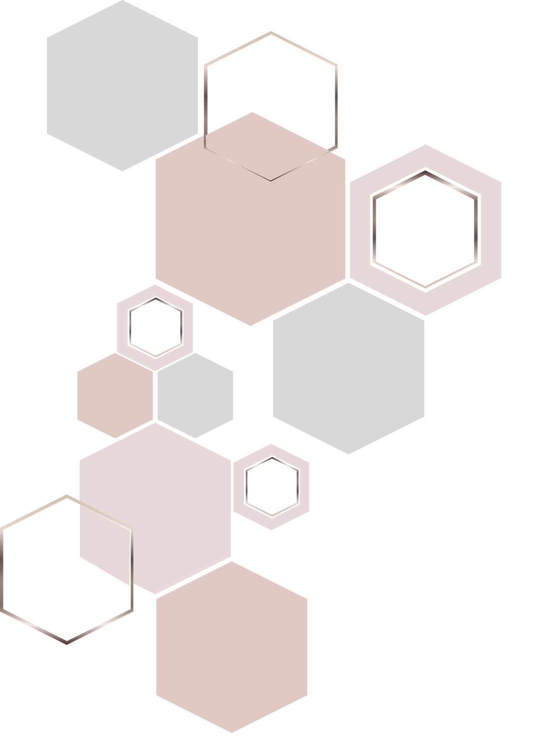


عن الشعبي، قال شريح:

(إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني)

((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١٠٥/٤).



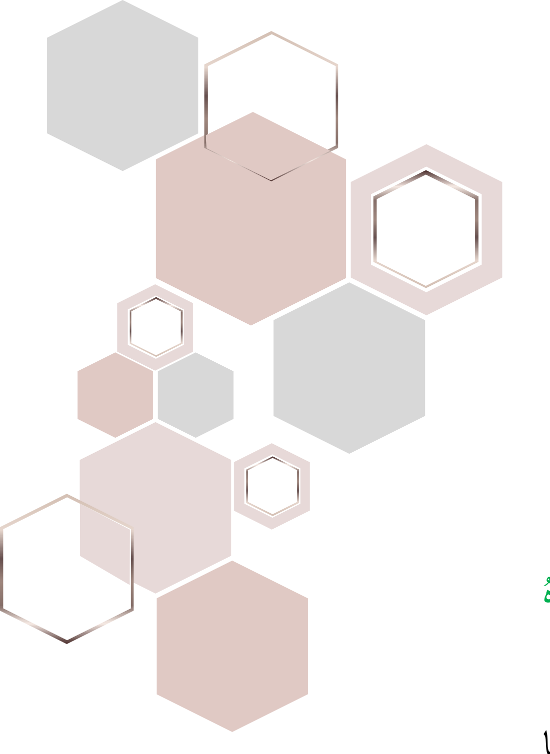


هل الصبر أفضل من الشكر:

اختلف الناس: هل الصبر أفضل من الشكر، أو بالعكس؟ وتلخيص القول فيه: أن لكل واحد من الصبر والشكر درجات.
فأقل درجات الصبر ترك الشكوى مع الكراهة، ووراءها المرضي وهو مقام وراء الصبر، ووراء ذلك الشكر على البلاء وهو وراء الرضى.
ودرجات الشكر كثيرة، فإن حياء العبد مع تتابع نعم الله عليه شكر، ومعرفته بالصبر عن الشكر شكر، والمعرفة بعظيم حلم الله وستره شكر، والاعتراف بأن النعم ابتداء من الله بغير استحقاق شكر، والعلم بأن الشكر نعمة من نعم الله شكر، وحسن التواضع في النعم والتذلل فيها شكر، وشكر الوسائط شكر، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: " لا يَشْكُرُ اللهَ مَن لا يَشْكُرُ الناسَ" (١)
وقلة الاعتراض وحسن الأدب بين يدي المنعم شكر، وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر، فما يندرج من الأعمال والأقوال تحت اسم الشكر والصبر لا ينحصر، وهى درجات مختلفة، فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر؟
لكن نقول: إذا أضيف إلى الشكر الذي هو صرف المال إلى الطاعة، فالشكر أفضل، لأنه تضمن الصبر أيضاً، وفيه فرح بنعمة الله عز وجل، وفيه احتمال ألم في صرفه إلى الفقراء، وترك صرفه إلى التنعيم المباح، فهو أفضل من الصبر بهذا الاعتبار.
وأما إذا كان شكر المال ألا يستعين به على معصية، بل يصرفه إلى التنعيم المباح، فالصبر هنا أفضل من الشكر.

كتاب مختصر منهاج القاصدين – نجم الدين المقدسي – ص٢٩٥
(١) أخرجه أبو داود (٤٨١١)، وأحمد (٧٩٣٩) واللفظ لهما، والترمذي (١٩٥٤) باختلاف يسير.





أيهما أشق الصبر على البلاء، أو الشكر عند الرخاء؟

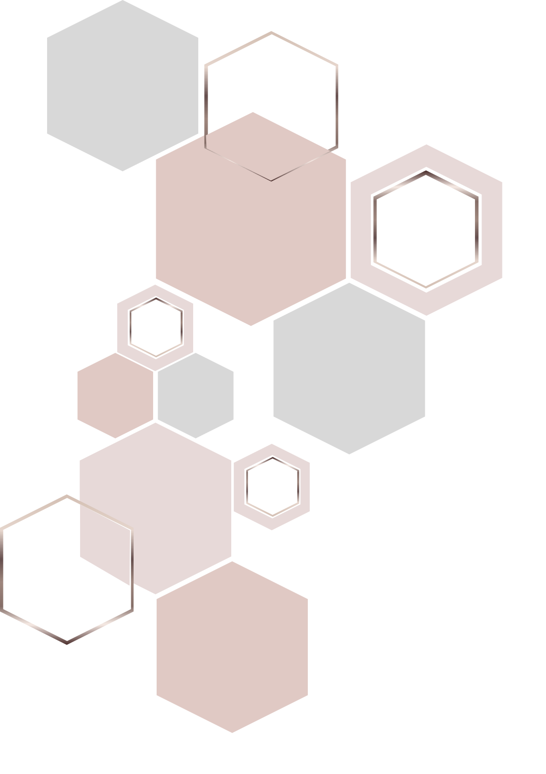
اختلف العلماء في ذلك، فقال بعضهم: إن الصبر على البلاء أشق، وقال آخرون: الشكر عند الرخاء أشق.

والصواب: أن لكل واحد آفته ومشقته، لأن الله عز وجل قال: {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} [هود: ٩ - ١٠] .

لكن كل منهما قد يهونه بعض التفكير: فالمصاب إذا فكر وقال إن جزعي لا يرد المصيبة ولا يرفعها، فإما أن أصبر صبر الكرام، وإما أن أسلو سلو البهائم، فهان عليه الصبر، وكذلك الذي في رخاء ورغد.

لكن أهل السنة والجماعة يأمرون بهذا وهذا، بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء.

كتاب مجموع فتاوى ورسائل العثيمين – محمد بن صالح العثيمين – ج٨ ص ٦٦٦



الغني الشاكر والفقير الصابر:

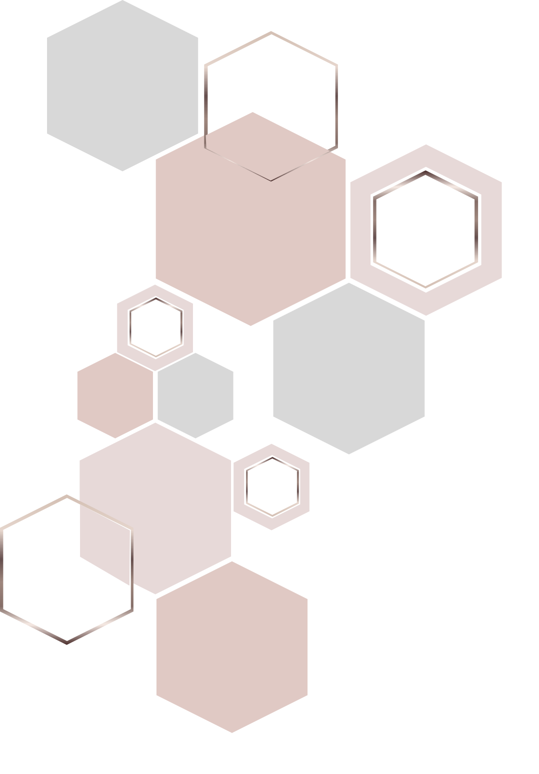
الفقر والغنى ابتلاء من الله تعالى لعبده كما قال تعالى:

{فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ} [الفجر:١٥] ،

فإن استوى الفقير الصابر والغني الشاكر في التقوى استويا في الدرجة،

وإن فضل أحدهما فيها فهو الأفضل عند الله، فإن الفقر والغنى لا يوزنان، وإنما يوزن الصبر والشكر.

كتاب شرح العقيدة الطحاوية – عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين – ج ٤٩ ص١٢



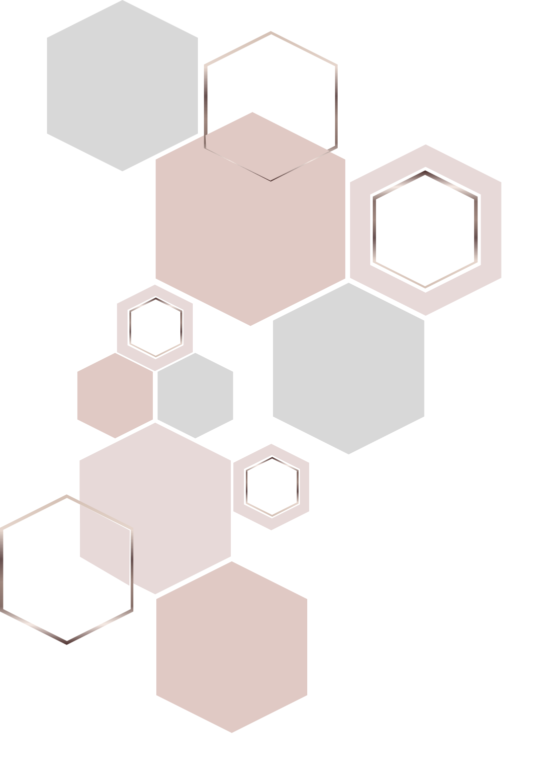
حكم الصبر والشكر والرضا:

الواجب الصبر.

أما الرضا والشكر فهما مستحبان،

وعند المصيبة ثلاثة أمور: الصبر وهو واجب، والرضا سنة، والشكر أفضل.

كتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة – عبد العزيز بن باز – ج١٣ ص ٤١٣



الفرق بين الرضا والصبر:

الفرق بين الرضا والصبر: أن الراضي لم يتألم قلبه بذلك أبدا، فهو يسير مع القضاء

«إن إصابته ضراء صبر فكان خيرا له وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له».

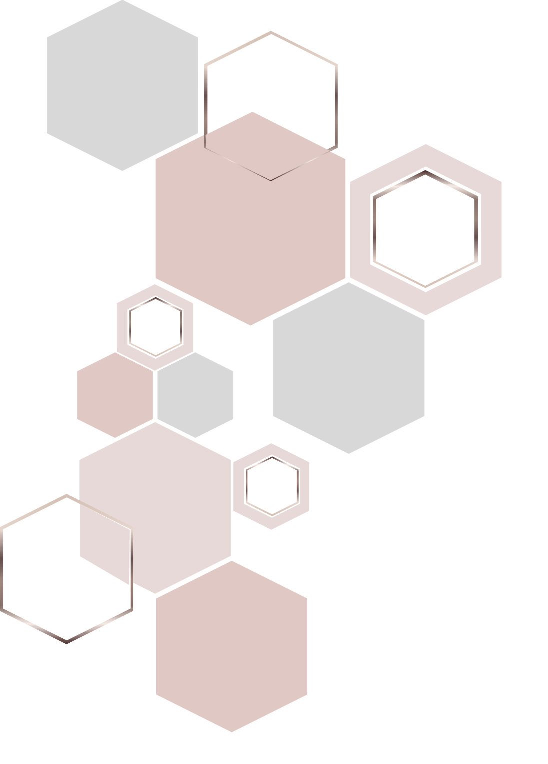
ولا يرى الفرق بين هذا وهذا بالنسبة لتقبله لما قدره الله عز وجل؛ أي إن الراضي تكون المصيبة وعدمها عنده سواء.

هذه المسألة يقول بعض العلماء: إنها واجبة، لكن جمهور أهل العلم على أنها ليست بواجبة، بل مستحبة،

فهذه لا شك أنها أكمل حالا من الصبر، وأما أن نلزم الناس ونقول: يجب عليكم أن تكون المصيبة وعدمها عندكم سواء،

فهذا صعب ولا أحد يتحمله، فالصبر يستطيع الإنسان أن يصبر، ولكن الرضا يعجز أن يرضى.

كتاب مجموع فتاوى ورسائل العثيمين – محمد بن صالح العثيمين – ج٣ ص ٢٠٥



الفرق بين الرضا والصبر:

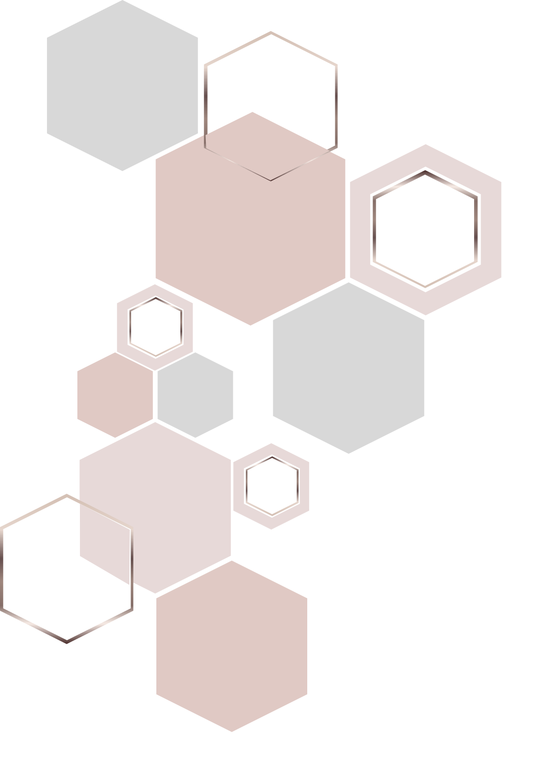
الرضا أن يرضى بحالته التي هو فيها، ويصبح راضياً بها، يعني: لا يتمنى غيرها، ولا يتمنى أن يخرج عنها، فهذا هو حال الرضا.

أما الصبر فيصبر على المصيبة التي أصابته، ويحمل نفسه على هذا الشيء، ولا يتضجر ولا يتوجع ولا يغضب من ذلك،

بل يصبر ويسلم لله جل وعلا.

فالصبر أسهل من الرضا؛ لأن الرضا فيه الصبر وزيادة على الصبر، والصبر لا يتضمن الرضا.

كتاب شرح فتح المجيد - عبد الله بن محمد الغنيمان – ج١٤٢ ص٢١



الرضا أعلى مرتبة من الصبر:

هناك مرتبة فوق الصبر وهي الرضا بأقدار الله،

والرضا بأقدار الله أكمل حالاً من الصبر على أقدار الله.

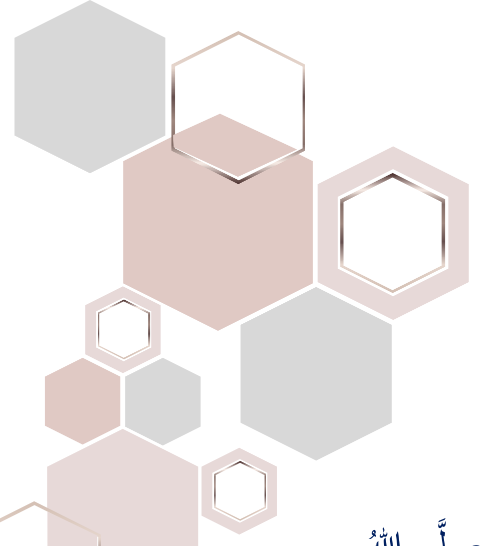
والفرق: أن الصابر قد تألّم قلبه وحزن وانكسر، لكن منع نفسه من الحرام.

والراضي: قلبه تابع لقضاء الله وقدره، فيرضى ما اختاره الله له ولا يهمّه، فهو متمشٍّ مع القضاء والقدر إيجاباً ونفياً.

ولهذا قال أهل العلم: إن الرضا أعلى حالاً من الصبر، وقالوا: إن الصبر واجب والرضا مستحب.

كتاب شرح الأربعين النووية – محمد بن صالح العثيمين – ص ٢٢٤





قال أحمدُ بنُ حَنبَلٍ:

(أجمع سبعون رجلًا من التابعين، وأئمَّةِ المُسلِمين، وأئمَّةِ السَّلَفِ، وفُقهاءِ الأمصارِ؛ على أنَّ السُّنَّةَ التي توُفِّيَ عليها رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أوَّلُها الِّرضا بقضاءِ اللهِ، والتسليمُ لأمرِ اللهِ، والصَّبرُ تحتَ حُكمِه، والأخذُ بما أمر اللهُ به، والنهيُ عمَّا نهى عنه، وإخلاصُ العَمَلِ للهِ، والإيمانُ بالقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه، وتَرْكُ المِراءِ والجِدالِ والخُصوماتِ في الدِّينِ)

((مناقب الإمام أحمد)) لابن الجوزي (ص: ٢٤٠)

